

سلسلة عقول و أفكار

جانفي 2011

نسخة خاصة

المنظار في النقد الانشادي

نحن ننظر و أنت تنظر ...

ربما تكون نظرتنا أضعف من نظرتك؛ أو نظرتك أضعف من نظرتنا؛

فرحم الله قوي بصر الضعفاء ...

تصميم : جهاز نبض العصر للخدمات الإعلانية

بطـــاقة تقنيـــة

العنوان : **المنظار في النقد الإنشادي (نسخة خاصة).**
سلسلة : **عقول و أفكار.**
إنتاج : **جهاز أنسام الصباح للتربية الفنية.**
تاريخ : **جانفي 2011.**
تصميم الغلاف : **جهاز نبض الضوء للخدمات الإنشادية. (04 نسخ).**
مراجعة و تدقيق : **جهاز نبض الضوء للخدمات الإنشادية.**
رعاية إلكترونية : **شبكة سما العالمية.**
هذا الكتاب : **رؤية موضوعية إلى النقد الإنشادي، موجهة إلى الجمهور و إلى الذين يجب أن يبرزوا كنقاد من أصحاب الاختصاص، كل ما قد يجـول في الأذهان من تساؤلات حول هذا الميدان الذي لا تكفي كلمة مهم للتعبير عنه كاملا، هو مدخل يفتح الباب فقط لتكـون أنت و أنتِ بالداخل.**

الفهرس :

مقدمة :

ارتبط مفهوم النّقد عند الكثيرين بمفهوم النّقص، فالعمل منقود لافتقاره لأشياء تؤثر سلباً على جودته، و لو اعتبرنا هذا صحيحا؛ و ذهبنا إلى ما هو أساس له و قاعدة؛ لكان كلاماً في غاية السّلامة و الصّواب.

هل لاحظت المرآة ؟؟؟.

هل لاحظت سيرورة ما يجري حين يقف أحدهم أو تجلس إحداهنّ أمامها ؟؟؟.

كيف بك إن أتاك أحد منبّها لشيء ما؛ مبرهناً على رأيه بإشارة من بنانه إلى صورتك المنعكسة أمامك و ليس إلى الجسم الأصليّ ؟.

ما رأيك لو كانت هذه المرآة مشوّهة غير منبسطة تماما ؟، ما قولك إذا رأيت بوجهك بقعاً سوداء مثلا؛ و عرفت أن هذه البقع صدأ في المرآة المستعملة ؟، ما هو فعلك إذا علمت أنّ صورتك هذه نقلتها المرآة لشخص آخر وقف أمامها أو جلس ؟.

يشبّه البعض الناقد بالمرآة، و يقول آخرون أنّ عملية النّقد هي عمليّة وقوفك أمامها، فاعلم إذن أنّ العيب ليس في طول جلوسك أو كثرته؛ و إنّما في الاستفادة من تلك اللّحظات أو الدّقائق أو السّاعات.

في هذا الكتاب نتعرّف إن شاء الله على الحراك النّقدي الذي ميّز فنّ الإنشاد إبّان النّصف الثاني من القرن 20 الميلادي، قناعات تبلورت حول أهميّة هذه الفترة التّاريخيّة فيما نعيش فيه الآن من بدايات القرن 21 الميلادي، فما حدث خلال سنوات العقود المعنيّة بالدّراسة؛ من الأولويّات التي يجب على الإنشاديّ أن ينزلها مقامها الأصليّ الثّابت، و المتجاهل لها فرد أغمض عينيه عن حقبة هامّة من التّاريخ الإنشاديّ.

دعنا نحمّلك المسؤوليّة في استشفاف الحالة المزرية و المتدهورة للنّشيد و الأنشودة، و حتّى تدرك أنّ الفرد الإنشاديّ وحده لا يمكن له أن ينجح دون اتّحاد جهوده مع جهود آخرين أمثاله.

نرجوك ... لا تعتبر القضيّة منبراً لكشف عثرات و سقطات العائلة بقدر ما هو مسح تاريخيّ للميدان، فكن واثقاً أنّنا لن نستفيد من تبيان أخطاء الآخرين للأجيال القادمة، و لكن هذه الأجيال هي التي ستتأمّل بإذنه تعالى الدّيناميكا الإنشاديّة التي ميّزت هذه الحقبة، و قياساً على هذا التأمّل؛ ستكون على دراية بما سيؤول إليه المستقبل إن شاء الله.

... إنّ أيّـة عمليّة إنتاجيّة تولد بتشوّهات و عيوب، و ربّما أورام، أمر مفروغ منه باعتبار الطّبيعـة الإنسانيّـة التي لا تأتي بالشّيء الكامل، و تحديداً نقول أنّ قدرة البشر ليست مطلقة، و من غير المعقول أن تكون كذلك، و ما الجماعة إلا مساهمات لإضعاف هوامش التشوّهات باختلاف اختصاصاتهم و تخصّصاتهم، غير أنّ هنـاك شخصـاً بعيداً عنهم؛ قريبـاً منهم، قد يقلب رأيـه كلّ الموازيـن، قربه مهمّ جدّا، و بعده أهم، هو خـارج تفكيرهم، لكنّه في قلـب أفكـارهم، و هذا هو مفتـاح النّجاح للذي يجب أن يأخـذ مكانه المناسـب، و يحمل دورا أشبـه بالقنّاص في اختصاص قائم بذاتـه اسمـه " النّقد الإنشاديّ ".

و مهما كان الحال؛ فإنّنا ننظر و أنت تنظر، فلربّما تكون نظرتنا أضعف من نظرتك، أو نظرتك أضعف من نظرتنا، فرحم الله قويّا بصّر الضّعفاء.

في هذا الكتاب الذي نضعه بين يديك؛ نحاول بأقصى طاقاتنا أن نبيّن فيه ملامح و سمات اختصاصك، يا أخانا النّاقد و أختنا النّاقدة ...

أنت الذي نضع فيك ثقتنا في نقد ما هو محلّ النّقد من مقامك الرّفيع، و عندما نخاطب الرّجل فنحن نقصد المرأة أيضا.

يا رفيع الذّوق ... اعتمد على نفسك و ثق في الله، فما في يديك يكفي لشقّ أنهار في السّماء، و تميّز حتّى يرتفع الإحساس العام، فهل كلّ النّاس ترى بالأشعّة ما تحت الحمراء ؟، و كن على رساخة قدم، و تألّق همم، فقد تواجه تيّارات لا قِبل لك بها، و هنا فقط نتأكّد من أنّك فعلاً " ناقد ".

جهاز أنسام الصباح للتربية الفنية
الإقليد ديسمبر 2006

المحور الأوّل : الدّيناميكا النّقديّة الإنشاديّة في أواخر القرن العشرين الميلادي

واقع الحركة النّقديّة :

نحن الآن في عقود ما بعد سنوات الخمسينيّات من القرن 20، نحلّل ما حدث خلالها من أحداث تخصّ ميدان النّقـد، و لا نستطيع أن نقول شيئا دون إطلالة وجيزة على ما شهده العالم خلالها من اتّساع موجة المدّ الاشتراكي، و الخوف من الأفكار الشّيوعيّة حتّى في قلب الدّول الرّأسماليّة الدّيمقراطيّة، المنادية بحريّة الفكر و المعتقد، و قد يسأل سائل عن جدوى ذلك في الفنّ بصفة عامّة، غير أنّه من الطّبيعيّ معرفة كنه الفنّ في إطار النّظام الحاكم.

تشجّع الرّأسمالية الحريّة الفنيّة بشكل أو بآخر، عكس الاشتراكيّة التي **لا رؤية لأفراد المجتمع خارج إطار النّظرة الرّسميّة للجماعة الحاكمة**، و قس على الفنّ الاتّجاه النّقديّ المصاحب.

و لو بسّطنا الفكرة أكثر؛ لقلنا أنّ النّظام الرّأسمالي عموما يوفّر مناخاً حيويّاً ملائماً للحراك النّقديّ باعتبار الحريّة التي يقوم عليها، و تختلف درجتها من نظام رأسماليّ لآخر.

و لكن لا يمكن البتّة اتّخاذ هذا مقياسا عامّا، فالنّقد الفنّيّ نظرة اختصاص تجاه أعمال فنيّة، و غالباً ما كانت هذه الأعمال رغم جودتها تعجّ بالأفكار الهدّامة التي لا يوليها النّقّاد لفتة، إذ تستدعي نباهة و بُعد نظر، على عكس ما يميّز الغالبيّة من النّقاد، أو هكذا كانت النّظرة التي يراد توليدها لدى الفنّانين.

و حتّى و لو عرف النّقد أسساً راقية و متينة؛ فإنّ الأمر لا يتعدّى الجانب التّقنيّ، ما دامت النّظرة العامّة لا تتّجه إلى ما يمسّ " المصلحة العليا للوطن " كما يُقال.

إنّ ما يهمّنا هنا هو إبراز مدى العلاقة بين النّقد الفنّيّ في شكله الإجماليّ العام؛ و الكيفيّة التي أثّر بها على واقع النّقد الإنشاديّ، كي نبني رابطة داخل الفنّ نفسه بين ميادينه المختلفة، و لو أنّنا نؤمن أنّ الوجود معقّد بطبيعته، يؤثّر بعضه في بعض.

إنّ النّقد الإنشاديّ جزء من الفكر النّقديّ الفنّيّ العام، مثل النّقد المسرحيّ، النّقد السّينمائي، النّقد الأدبيّ ... الخ، فإذا كان أيّ ميدان مزدهر؛ فإنّه يستلزم ازدهار الحركة الفكريّة النّقديّة ككلّ، باعتبار الجزء من الكلّ، أمّا ازدهار ميدان فوق ميادين أخرى؛ فذلك شيء آخر، دون التّعرّض لفوارق أحجام التّقدّم، و هذا ما يكون واضحاً متّضحاً في ديناميكيّة الفنون.

إتّجاهات النّقاد :

قبل التطرّق إلى ديناميكيّة الفنون؛ يجب المضيّ قدما نحو ما يُعرف بالاتّجاهات النّقديّة، لما تنطوي عليه من تفسيرات تخصّ ما يحدث في المجال النقديّ بصفة عامّة، فالنّقاد على اختلافهم يدخلون السّاحة من أبواب متفرّقة، كل باب يمثّل تيّاراً يلجون به البحر.

يقوم النّاقد أثناء عمليّة النّقد بالتحليل ثمّ التفسير ثمّ الحكم، ثلاث خطوات متتابعة الواحدة تلو الأخرى، غير أنّ الاتّجاه مأخذ يكون في التحليل، أمّا التّفسير فقد تتداخل فيه اتجاهات أخرى، كما قد يبقى النّاقد محافظاً على نفس الاتّجاه السّابق.

تتعدّد الاتجاهات من الاتّجاه الأيديولوجي إلى الجمالي إلى الاجتماعي إلى النّفسي ... الخ، فالناقد الذي ينقد حسب الاتجاه الأيديولوجي؛ يحلّل المادّة وفق طبيعة هذا الاتجاه؛ ثمّ يعطي تفسيـرات بناء عليه، و أخيـرا يحكـم على العمـل، و إذا أخذ الاتجاه الجمالي تعرّض للعاطفة، و تناول حياة صاحب العمل، مسقطاً ذلك على الواقع المعيشيّ الرّاهن داخل الأطر الثّقافيّة إذا دخل من الاتجاه الاجتماعيّ، و غاص في النّفس البشريّة إذا كان الاتجاه النفسيّ هو الطّريق.

و لعلّ الدّيناميكا النّقديّة الإنشاديّة قد تأثرت بهذه الاتجاهات، روحاً و منهجا، و ربّما قد غلب اتّجاه على آخر، مثلما حدث للجانب الجماليّ الذي كان يأخذ حصّة الأسد في أغلب الأفكار النّقديّة.

ديناميكيّة الفنون :

يخطئ من يظنّ أو يكمن لديه الاعتقاد أنّ الفنون في حركة انفصاليّة عن بعضها البعض، فهذا رأي لا يعكس الحقيقة مطلقا، و لا تتسنّى للملاحظ سوى نظرة عامّة شاملة، تثبت عنده بالدّليل مدى تشابك الفنون، فكيف إذا دقق النّظر أكثر ؟، و علم أنّ كلّ فنّ إلاّ و يحتفظ بماهيّته الاستقلاليّة فقط ؟، أمّا إذا تعدّى ذلك إلى المفهوم؛ فله حدود مع غيره، مشتركة بنسب متفاوتة، و هذا التّعقيد و التشابك؛ إنّما هو ناتج من تعقيد الوجود و تشابكه، و لو لم يكن هذا الأخير على هذه الشّاكلة؛ لكان كلّ فنّ مستقلّ تماماً بالماهية و المفهوم، استقلاليّة تامّة كاملة.

إنّ الحركيّة المتنامية بين الفنون حركيّة ذات خصائص من بينها :

1 - الخصّيصة التفاعليّة :

تتفاعل الفنون فيما بينها بما يعطي للعقل فكرة التّوالد و الانقسام، فهناك فنون تنشأ من احتكاك فنّين، مثلا المسرح الإنشاديّ الذي هو مزيج بين فنّ المسرح و فنّ الإنشاد على التّرتيب، و ولادة فنّ من فنّين معناه الأخذ منهما كما يرث الطّفل صفات من أبيه و صفات من أمّه.

غير أنّ الولادة تحتفظ بشخصيّة مستقلّة للمولود، الذي هو جزء من الوجود، تسيّره نواميس وضعها الله في الطّبيعة و الكون ككلّ، أي أنّ التّفاعل لا يعني إلغاء الهويّة، أو استنساخها، إنّما هو الخروج من محيط خاصّ بفنّ معيّن إلى محيط خاصّ جديد، محفوظ من التّميّع، **فإذا ضُربت شخصيّته في العمق اندثر.**

إنّ الجوهر يؤكّد دائماً أنّ التّفاعل ما هو إلاّ صورة من صور الحاجة البشريّة لفنّ ما، حيث يظهر بناء على ظروف مساعدة، أو مؤشّرات توحي بقبوله عند الجمهور، أو نتجاوز كلّ ذلك لصنع مناخ يترعرع فيه الفنّ و يعيش.

2 - الخصّيصة الجدليّة :

تنشأ من ديناميكيّة الفنون خصّيصة جدليّة، أي أنّ أيّ فنّ ما سيأخذ من فنّ آخر ضرورة، كي يقوم بوظيفته، و ما القول عن الواحد من الفنون أنّه مستقلّ بنفسه؛ إلاّ من أجل أن نعطي عنه فكرة احتلال مساحة من الوجود، تذهب إلى البحث في الأسرار التي تتحكّم فيه، غير أنّ الجدل بين الفنون عامل قائم يجب أن يدرك إدراكا يفضي إلى الوصول إلى فكرة الاختصاص، و بعدها إلى فكرة التّخصّص.

هل يستطيع من لم يملأ يديه من علم ما أن يبوح لك بأسراره ؟.

طبعا الإجابة سلبيّة، و عليه فخصّيصة الجدل النّاشئة عن حركيّة الفنون تفرض الاعتماد على الاختصاص كمبدأ و ضرورة و حتميّة، و النّاكر لهذا لا يتعدّى جهده القشرة، أمّا اللّبّ فلن يصل إليه على الإطلاق، و كيف يصل من لم يأخذ للأمر عدّته ؟؟.

من غير الممكن أن نفصل فنّا ما عن سائر الفنون، إذ سنقضي عليه، و لكن يجب أن نراعي هويّته الخاصّة به عند هذا الانفتاح، فالشّيء إذا عُزل عن باقي مكوّنات الوجود **أعدم**، و إذا اختلط بغيره **ذاب**، معنى الإعدام الحصار القاتل، الذي لا يدع أيّة فرصة للنّموّ، أمّا الذّوبان فهو التّلاشي، شيئا فشيئا، و في الحالتين يكون فقده.

3 - الخصّيصة الأثريّة :

تختلف قوّة الأثر من فنّ لآخر، تبعاً لما يحمله من شخصيّة، و لما يجسّده في الواقع من أفكار، التي تعدّ قلب القوّة و مركزها.

كلّ فنّ يحمل قوّة معيّنة لها وقع في الوجود، و يزيد حجم هذه القوّة أو ينقص؛ و يتّسع مجالها أو يضيق؛ و تتفرّع أشكالها أو تُختزل، وفق نوعيّة الاحتكاك التي يتعرّض لها مع فنون أخرى.

قوّة فنّ المسرح تزيد إذا احتكّ مع فنّ الدّيكور، أو مع فنّ الإضاءة، أو مع فنّ الشّعر ... الخ، و قس ذلك على كلّ فنّ يخطر في ذهنك، و كما هي القوّة؛ كذلك الحال مع الضّعف، فليس كلّ احتكاك يولّد قوّة، لأنّ حجم الأثر يختلف باختلاف نوعيّة الاحتكاك و درجته. (انتبه لهذه النقطة جيّدا)

4 - الخصّيصة التجاوبيّة :

لا يمكن أن تكون درجة تجاوب الأفراد واحدة تجاه الفنون، و لا يهمّنا في موقفنا هذا اختلاف درجة الأفراد بقدر ما يهمّنا اختلاف الدّرجة من فنّ لآخر، أي تطوير الفنّ و النّهوض به من طرف الجمهور، و لنكن صريحين إلى أبعد الحدود حين نقول أنّنا نرمي إلى من يرتقون بالجوانب المختلفة لكلّ فنّ، باعتباره فنّا ذا خصّيصة جدليّة، و ما مستوى التّجاوب من هؤلاء المختصّين في ميادينهم إلاّ مرآة تعكس خصّيصة الأثر من جهة، و تعكس الوعي من جهة ثانية.

ممّا سبق ننتقل إلى فكرة أخرى، فإذا كانت الدّيناميكيّة الفنونيّة بخصائصها المشروحة واقعة؛ فالنّقد الفنّي ليس مستقلاً سوى بالماهية فقط، أمّا في الجوهر فيشهد ديناميكا مشابهة للدّيناميكا السّالفة الذّكر.

لكن ديناميكيّة النّقد غير ملاحظة للكثيرين، الذين يأخذون الأشياء ببساطة كبساطة تفكيرهم القائم على النّظرة السّطحيّة.

هل تلاحظ أنّنا نتّجه مرّة أخرى إلى الاختصاص ؟، هذه المرّة في النّقد، الذي لا يقبل الطّابع الانفصاليّ باعتباره تقييما لما هو في تغيّر دائم.

في الفقرة التّالية نعالج فكرة أثر الإنشاد على المجتمعات البشريّة تحت ضوء ديناميكيّة الفنون، رغم أنّنا لن نشير إلى ذلك صراحة.

آثار الإنشاد على المجتمعات البشريّة :

يؤثّر الإنشاد على المجتمعات البشريّة في صورة سلبيّة أو إيجابيّة، أي أنّه سلاح ذو حدّين، يجب حضور عليم به كي يبقى في إطاره الإيجابيّ دائما، من أجل خدمة الهدف الأسمى الذي بسببه كُتب له الوجود.

تتعدّد أوجه التّأثير و تتنوّع، في هذا؛ نذكر بعضاً منها محاولين وضع اليد على نقاط محوريّة قصد معالجتها معالجة لها من الارتباط بالنّقد الإنشاديّ ما يجعلها من الأشياء التي يذهب إليها الكثيرون، معطينها كافّة اهتماماتهم، لأنّها تصبّ في مجال واحد مركزيّ، قائم على السّؤال التّالي : ما دخل هذه العناصر في الدّيناميكا النّقديّة ؟.

● التسلية باب من أبواب آثار الإنشاد، يعرفها الكلّ، لأنّ هذا الكلّ هو الآخذ حصّة الأسد من الجمهور، أين تكثر مشاغل الحياة و تتعقد مخلّفاتها، و تتشابك الأدوار الاجتماعيّة، و يزداد حجم الضّغط على الأفراد و الجماعات، ممّا يدعو إلى البحث عن شيء يفرغ تلك الطّاقات السّلبيّة، يريح النّفس من متاعبها المتنامية، فتُستعاد القوى لتُبذل الجهود من جديد، و تتنفّس العقول و القلوب هواء جديداً منعشا؛ تغيّر به ما غشيها من هواء فاسد، و ما أفسده سوى الرّوتين و الحياة الرّتيبة التي تبعث الملل في النفوس.

عادة لا يفكّر الجمهور في عقبات ما يتسلّى به، فهو يقبل أيّ شيء يزيح همومه و لو مؤقتا، و عليه فإنّ الفكرة التي تكون محلّ تطبيق هنا؛ لا يُبذل فيها جهد التّفكير المعمّق، و لا الرّؤية المتعدّدة، فكلّ ما يقدّم له مقبول بشرط واحد : إيجاد راحة ... تحقيق متعة ... توفير لذّة.

إنّ الوعي بالقيمة الأخلاقيّة يكون في أدنى حالاته عندما يتعلّق الأمر بشخص أو جماعة، في نطاق عريض من العياء الفكريّ أو الجسديّ، يبحثون عن شيء يُذهب هذه الآثار، و ينقلهم إلى نطاق حيويّ، و كأنّهم بُعثوا من جديد.

● يلعب الإنشاد أيضا دور موحّد مشاعر الجماعة العالميّة، و موجّهها إلى مرحلة بعديّة، فالعاطفة التي تتحكّم في كثير من تصرّفات الجمهور؛ سلسلة من الأحاسيس المتوالدة، تتباين في شدّتها، و قد تصل إلى حدّ يعطّل فيه التّفكير السّليم، و يغيب العقل الموجّه، و يختفي القلب العاقل، و يصدر من الفرد أو الجماعة تصرّفات طائشة مقارنة بمن هو في وضع عقليّ متّزن.

و ليس غريباً إذا نظرنا في العلاقة بين الإنشاد كفنّ يعبّر عن مشاعر و مكبوتات النّفس البشريّة؛ و القيمة الأخلاقيّة التي تكون كإطار عام لهذه التعبيرات.

إنّ فتح باب الحريّة على مصراعيه للمشاعر الجيّاشة؛ تهلكة للجماعة العالميّة، و حلبة صراع مفتوحة للجميع، دون أن يخرج منها أيّ واحد بوسام استحقاق أو بدرع نصر.

هل في مكامن النّفس البشريّة خير إذا أُعطيت كافّة التّسهيلات؛ و أُعدمت كافّة أشكال التّوجيه و المراقبة عليها ؟.

● للإنشاد أثر تربية المشاعر تربية لائقة، إذ أنّه ينمّي الجانب المثاليّ في الإحساس، فيوجّهه نحو الوجهة التي من المفروض أن يكون لها، فالغضب غضب لله، و الحزن حزن على ما هو أهمّ و أبقى، و الفرح فرح بما له الخلود.

و لكن الوجود نسبيّ، فإذا بولغ في شعور ما و لو كان مثاليّا؛ كان على حساب أشياء أخرى، و **من يضمن السّلامة في مجال فُقد فيه التّوازن ؟؟؟**.

إنّ التّوازن ضروريّ للفرد و الجماعة، و الإنشاد إذا كان ينمّي المشاعر في الاتّجاه الإيجابيّ؛ فهو اتّجاه متوازن مع غيره من الاتّجاهات، تربية شاملة لكافّة الأحاسيس البشريّة، في إطار إسلاميّ صِرف، بعيداً عن الاجتهادات الشّاذّة و الآراء الوضعيّة، التي تكون سببا مباشراً في شقاء الإنسانيّة، أو الأفكار ذوات أفق ضيّق، لا يُعى مدى خطورتها في المستقبل، أو حجم الكوارث التي ستسبّبها إن طُبّقت، و لا تكفي النيّة الحسنة في موقف كهذا بتاتا.

● يقدّم الإنشاد خدمة التّأريخ، يعلم الأجيال الرّاهنة و اللاحقة بما كان في الأجيال السّابقة، إعلاماً مباشراً يفهمه الجمهور ببساطة؛ أو إعلاماً غير مباشر يتمّ الحصول عليه بتحليل الخبراء.

لو اعتبرنا أنّ للإنشاديّ الحقّ في قول كلّ شيء من أجل التّاريخ؛ فهل يُعقل أن يخدم هذا مصلحة الجماعة العالميّة ؟، هل من المقبول أن ننشر أشياء تُعتبر من أسرار الدّعوة الفنيّة تحت غطاء التّأريخ للتّاريخ ؟، **هل لدى الجمهور العين الفاحصة المتفحّصة كي يدرك ما الذي يجب أن يُنشر؛ و ما الذي تفرض الضّرورة بقاءه في طيّ الكتمان ؟.**

ينقل الإنشاد صوراً من الماضي إلى الجيل الرّاهن، نقلا يجب أن يكون سليماً من كلّ شائبة، سواء عن عمد أو عن غير قصد، إنّها الحقيقة التي هي الأصل، و حتّى و لو أخفاها القدماء لمصلحتهم الضّيّقة؛ فإنّها ما تفتأ أن تبرز، فالتّزوير و التّزييف؛ كذب لا وجود جوهريّ له في الوجود.

هذه آثار الإنشاد على المجتمعات البشريّة، أشرنا بين ثناياها إلى عمليّة النّقد من بعيد، أي أنّه لولا وجود نقد فعّال لما هو موجود في السّاحة العالميّة من أعمال إنشاديّة؛ سيتغيّر الإنشاد كليّة، و سيصبح معول هدم، يدكّ صرح الجماعة العالميّة، و هو الذي وُجد من أجل إيصالها إلى شاطئ كلّه أمان و هناء.

و لكن ديناميكيّة النّقد إذا أردنا لها تحقيق ما هو مطلوب منها تحقيقه؛ تستلزم حضور فكرة تعقيد الوجود، و فكرة تعقيد الفنون، كي تكون على جانب من السّلامة، و تكون جزءاً من الحقيقة الإنشاديّة، بعيدة عن العشوائيّة.

إنّ الشّيء إذا لم يقم بعمله الإيجابيّ المنتظر منه؛ صار متّجها إلى السّلب، فإمّا أن يُعاد تفعيله وفق ما رُسم له؛ أو يُعدم، أفضل بكثير لمصلحتنا جميعا.

ظهور مدرسة التّتابع :

ظهرت مدرسة التّتابع كإحدى أهمّ المحطّات الزّمنيّة التي توقف عندها الإنشاد في مرحلة تاريخيّة من حياته، في النّصف الثّاني من القرن 20، دون أن تتوفّر لدينا الاستطاعة على تحديد السّنة بصفة دقيقة، و لنكن أكثر تلقائيّة تاريخيّة حين نجعل مجال ولادتها بين سنوات يمكن وصفها بسنوات النّهضة الإسلاميّة في المناطق العربيّة.

إنّ خلاصة القول هنا أنّ مدرسة التّتابع مرتبطة بالوعي الدّعويّ للحركة الإسلاميّة العالميّة، دون أن نخصّ هذه الحركة بطابع تنظيميّ معيّن، و إنّما هو وصف حالة عامّة لنشاط عام.

و قد تطرح سؤالاً عن سبب هذه التّسمية بالذّات ؟، هي إظهار مدى تتبّع السّابقين دون التّجديد، و هذا ما جعل الإنشاد يتوقف ببعده الجوهريّ، و لو بدا للنّاظر بشكل يختلف تماماً عمّا هو حقيقيّ في الواقع.

إنّ التّواجد الميدانيّ لا يترجم فعالية الفعل الإنشاديّ، فقد يكون التّحرّك عشوائيّا يفتقر إلى التّخطيط الدّقيق، بهدف الوصول إلى غاية محدّدة، ثمّ بعد تحقيق هذه الغاية؛ يُنظر إلى ما بعدها، و هكذا دواليك.

عمليّة إحداث الفعل الإنشاديّ معقّدة و شائكة، بما يحمله هذا الفعل من اتّساع، أي أنّ الميادين التي تكون مسرحاً لأنشطة الفرد المشتغل بالإنشاد؛ ميادين كثيرة متنوّعة، كميدان الشّعر، و ميدان اللّحن، و ميدان التّوزيع، و غيرها من الميادين، بيد أنّ مدرسة التّتابع ما كانت تعير هذه الميادين أهميّة مستقلّة، بالرّغم من كونها تحرص كلّ الحرص على تقديم الأفضل، حرصاً تراه من وجهة نظر خاطئة، أو قل ليست في المستوى المطلوب.

و من حيثيّات وجهة النّظر الخاطئة؛ إهمال الجانب النّقديّ كثيرا، لدرجة أنّه كان من ينقد؛ يُنصح بألاّ يفعل حتّى لا يُغضِب من ينقد أعماله، أو أصحاب الاهتمام.

نتحدّث في هذا الموقف عن غياب النّقد الإنشاديّ كعلم له أناسه؛ من يقفون له بالمرصاد، بأصول و قواعد، و هو ما انعكس سلباً على الإنشاد في حدّ ذاته، فساهم في تأخّره.

ظهرت إذن مدرسة التّتابع خلال النّصف الثّاني من القرن 20 الميلادي، على يد منشدين بارزين و فرق إنشاديّة حملت على عاتقها هموم الدّعوة، و ما يحدث للمسلمين في بقاع الأرض من مصائب، و على رأس القائمة قضيّة فلسطين، الأرض المغتصبة من أهلها.

و ظهور مدرسة التّتابع ما هو سوى حلقة من مسلسل التّطوّر الذي يشهده الإنشاد، و لو لاحظنا لوجدنا أنّ المدرسة التّقليديّة التي كانت قبل مدرسة التّتابع؛ ساهمت هي الأخرى في دفع الإنشاد أو تأخّره، من جانب الدّيناميكا النّقديّة التي ميّزت تلك الفترة التّاريخيّة، و ما قبل المدرسة التّقليديّة شيء آخر غيره ......

لنأتِ الآن إلى الأهمّ، ما علاقة ظهور مدرسة التّتابع بالحركة النّقديّة ؟، فالنّقد تفكير من نوع خاص لا يتأتّى لكلّ من هبّ و دبّ.

نجيب عن هذا السّؤال بسؤال آخر : **هل يمكن إرجاع عمليّة التّحريك النّقديّ إلى مجموعة من القناعات و الأفكار، تمثّل تقعيدا حيويّا لها ؟؟؟.**

من المعقول بنسبة كبيرة أنّ مدرسة التّتابع تمثّل الوعاء الذي ينشط خلاله النّقاد، فإذا نقدوا أعمالا معيّنة؛ يجب أن تكون منتمية لحيّز ما، إنّه حيّز الدّلالة التّاريخيّة، أي بعبارة أخرى " المدرسة الإنشاديّة ".

من أجل المسمّيات التّالية :

1 - أدوار الفنون في المجتمعات البشريّة.
2 - الدّيناميكيّة التي تحكم هذه الفنون.
3 - وجود مناخ قناعات معيّن له ظروفه و ميزاته.

يجب أن يكون شيء اسمه " النّقد الإنشاديّ "، و لكن الواقع يؤكّد على وجود أزمة في السّاحة الإنشاديّة، ما معنى ذلك ؟، ما هي أسبابها ؟، هل من الممكن تجاوزها ؟، ماذا لو عادت مجدّدا بنفس الصّورة أو بصورة أخرى ؟.

أزمة النّقد الإنشاديّ :

عاش النّقد الإنشاديّ أزمة حقيقيّة عند مدرسة التّتابع إبّان النّصف الثّاني من القرن 20، و هو ما انعكس سلباً على الإنشاد في حدّ ذاته، إذ ساد مناخ فكريّ غريب بعض الشّيء مقارنة بما يجب أن يكون، أو بما هو كائن على الأقلّ.

لنحاول الوقوف على بعض أهمّ أسباب هذه الأزمة :

● أتقن بعض منشدي مدرسة التّتابع ألبوماتهم الإنشاديّة، إذ كانوا يحرصون على تقديم الشيء الأفضل و الأجود للجمهور، و لو غاب عنهم الاختصاص في ذلك الحين بفكرته المتّسعة؛ بيد أنّ الشّاعر كان ذوّاقا، لا يكتب أيّ شيء، إضافة إلى اللّحن المميّز، لكنّنا نلاحظ على هذه الأعمال غياب التّوزيعات الاحترافيّة، و مع هذا لم يكن الجمهور يعيرها انتباها، بل كان يركّز على الكلمة في درجة أولى، و على اللّحن في درجة ثانية.

لقد وُجد نوع من التّحكّم في الميدان حسب مكوّنات العمل الإنشاديّ في تلك الفترة، يتواجد السرّ في نقطة الإخلاص لله، حيث كانت الدّعوة آنذاك دعوة لوجهه تعالى صِرفة دون أن يشوبها جاه طويل أو عريض من أيّ نوع كان، و لنفصّل أكثر فنقول أنّ الحالة المرجعيّة لعبت دوراً استراتيجيّا في أزمة النّقد الإنشاديّ، دون أن نتوجّه لهذه الحالة بالنّقد، مكتفين بالوصف و التّحليل.

اعتبرت مدرسة التّتابع أنّ الإنشاد وسيلة توعية و ترفيه، توجيه و تسلية، و نظراً للاستحكامات التّربويّة التي اتّخذتها الحركات الإسلاميّة تجاه أفرادها؛ كان من الصّعب جدّا حدوث زيغان عن الهدف الأسمى المرسوم، أي أنّ الأفراد حافظوا على السّير قدماً في طريق واضح المعالم دون انحرافات فكريّة ترتبط بالإنشاد، فلم يتأثّروا بالتّجارة الفنيّة و ما شابه، ممّا أبقى الإنشاد رهين فكرة الدّعوة، آخذاً مفهوم إلغاء كلّ ما من شأنه أن يحجب السّائر عن هدفه.

● كبتت الأنظمة الحاكمة بعض الحريّات التي تراها تمثّل تهديدا لها، ممّا ولّد حالة من الخوف و التّرقب الدّائم، و الحذر المصحوب باللا أمن، إذ اعتبرت مصالح أمن هذه الأنظمة الكلام في السّياسة تدخّلا مرفوضا، و بوادر عصيان مدنيّ مرتقب، و اتّسعت دائرة الحظر إلى كلّ ما يُشكّ فيه، و تحت هذا الضّغط؛ لم يكن أحد يملك الجرأة على نقد الواقع حتّى لا يُرمى بشيء، دون دفع الثّمن.

و في الحقيقة إنّ مناخاً مغلقاً لا يمكن أن يعرف تفتّحاً فكريّا، فالرّأي كلّه لما يخدم المصلحة العليا للجماعة المحليّة (النظام الحاكم)، أي أنّ كلّ فكرة يجب أن تدعّم الحكم القائم، و بما أنّ معظم الأنظمة الحاكمة كانت علمانيّة؛ فهي لن تشجّع بأيّة حالة من الأحوال النّقد السّليم للإنشاد، فهو سيهدّد كيانها عاجلا أم آجلا.

● أهملت مدرسة التّتابع الاختصاص معتمدة على المنشد الشّاعر، و المنشد الملحّن، ... الخ، و كانت النّظرة العامّة لا تعدو اعتبار الإنشاد شيئاً بسيطا، لا يتطلّب الغوص في كلّ صغيرة و كبيرة، و عليه فالنّقد الذي هو سدّ للثّغرات و تصحيح للأخطاء و تثمين للسّليم من الأعمال؛ سرعان ما اتّخذ هامشاً رفيعاً إن وُجد.

و كما هو معلوم فإنّ الاختصاص يتطلّب أموالاً و جهوداً و إمكانيّات عديدة، و تطبيقه يتطلّب الاستعانة **بفلسفة خاصّة** تمكّن الإنشاديّين من بلوغ منشودهم، أو سيكون الاختصاص عبئا ثقيلاً و حجر عثرة، و ما كانت مدرسة التّتابع مدرسة تفكير استراتيجيّ بالقدر الذي يمنحها القدرة على تطوير الإنشاد بتطوير عمليّات النّقد.

● لقد اشتغل الرّأي العامّ بقضايا كثيرة شائكة شغلته عن تقديم نقد إنشاديّ فعّال، مسألة خدمت الأنظمة الحاكمة كثيرا، فهي تقضي على بذور الفكر النّقدي التّحليليّ، و الفرد المشغول بشيء لا يمكنه أن يلتفت لشيء آخر، و لو انتبه

إليه فلن يجد متّسعا من الوقت و القدرة الفكريّة لمعالجته، فأغلب قواه تمّ استنزافها في مجالات شتّى، كالمشاكل اليوميّة مع المعيشة و السّكن و النّقل، و الاهتمام بأبطال اللعب و الفنون الغنائيّة الأخرى، و السّينما و غيرها من الملهيات.

و قد تتملّكك الدّهشة حين تعلم أنّ المجتمع لا يعدو توجيهه توجيه طفل صغير، فتكفي الإشارة إلى أشياء فقط ليجعل منها قضية عامّة، ينشغل بها كلّ النّاس، و الكلّ بطبيعة الحال سيدلي برأيه جدلاً و نقاشاً فارغاً تافها، يزيد الطّين بلّة، و يفسد السّليم من القضايا و المسائل، أمّا الملمّون بعناصر الوعي؛ فلا تتجاوز أصواتهم حناجرهم، فهل يملكون أدوات تعلي آرائهم على آراء الغوغاء ؟.

● لقد تميّز النّصف الثّاني من القرن 20 الميلادي بثبات مقوّمات النّشيد أو الأنشودة، بالرّغم من أنّ اختلاف المفهومين لم يكن معروفا، أي أنّه لا يوجد فرق بين الأنشودة و النّشيد، و لكن هذا لم يكن مانعاً في استقرار المفهوم بصفة شاملة عامّة، و لم يكن الاختلاف على أشدّه بين أنصار الإيقاع مع غيرهم كما هو الشّأن لأنصار آلات العزف الموسيقيّة، و هذا الموقف مختلف فيه، حيث يرى البعض أنّ التمرّد الحاصل مع أنصار فنّ التّغريد هو نفسه التّمرّد السّابق مع آلات الإيقاع.

و بناء على الرّؤية الجوهريّة الحقيقيّة للصّراع؛ ينكشف لنا شيء مهمّ في المعادلة.

تنقسم آلات الموسيقى إلى آلات عزف و آلات إيقاع، اختلفت حدّة الصّراع بين أنصار المنع و التّرخيص طبقاً للموضوع المثار، فآلات الإيقاع مقبولة مقارنة بآلات العزف، و لكنّ الضجّة الإعلاميّة ارتفعت مع بداية هذا القرن لانتشار وسائل الإعلام، و خروجها من أيادي الجماعات الحاكمة نسبيّا، التي لا ترى سوى ما يثبّت سلطتها، إضافة إلى أنّ الإيقاع هو التّرجمة السّمعيّة للوزن، أمّا العزف فهو شيء مضاف إلى القيمة، و عليه فهو خروج من الإنشاد إلى فنّ مغاير، له شخصيّته التي ينفرد بها، له أصوله و قواعده الخاصّة.

إنّ الجوّ المستقرّ نوعاً ما لم يكن يشجّع ولادة فكر نقديّ علميّ، ولادة تامّة كاملة، و ربّما تجد في هذا الكلام غرابة؛ إذ من المعروف للجميع أنّ الاستقرار حالة مثاليّة للتقدّم و الرّقيّ، هنا يمكن اعتباره شيئاً سلبيّا، فهو استقرار أفكار لا استقرار أوضاع، و الفرد المستقرّة أفكاره معناه شخص جامد عقليّا، أنشطته الفكريّة معطّلة، لا يُنتج إلاّ ما هو إعادة إنتاج لأشياء سابقة، أمّا الجديد فهو بعيد عنه ببعده عن آليّات التّفكير التّجديديّ، الذي يعدّ الفكر النّقديّ جزءاً منها.

● استحكمت الحركات الإسلاميّة تربية أفرادها تربية ضمنت عدم تمرّد فكريّ نسبيّ، و ليس معنى ذلك أنّ الطّاعة كانت عمياء، بقدر ما كانت تقطع الطّريق على كلّ من هبّ و دبّ للاعتراض من أجل الاعتراض، فهي فوضى لم تكن هذه الحركات تسمح بها، و تشويش على الجماعة من الدّاخل، سرعان ما يتطوّر ليفكّك أوصالها فتلاقي مصيرها المحتوم.

إنّ نشوء أفراد في جوّ كهذا؛ فوّت عليهم إبراز دور النّاقد الإنشاديّ، كفرد مستقلّ في مجاله.

اختلفت العقول في مفهوم النّقد، فمنهم من رأوه هدماً لكلّ عمل، و لا طائل منه سوى إثارة زوابع فتن تأكل كلّ شيء، و بذرة تطاول على الغير، هذا من جهة؛ من جهة أخرى، ارتقى موقف المحافظة على مشاعر الغير، و القضاء على كلّ ما من شأنه التّعرّض لهذه المشاعر و لو ببادرة طيّبة.

هذا هو تقريبا ما كان يدور بين أفراد هذه الحركات الإسلاميّة، إذ أنّ قاعدة الفكر النّقديّ منعدمة، و لا يتمّ التّشجيع على إنشائها.

● كان الجمهور لدى مدرسة التّتابع جمهور واضحاً ثابتا، لا يتجاوز في الأغلب مساحة أفراد الحركة الإسلامية التي تحتضن المنشد أو الفرقة، **أي منّا و إلينا**، و إذا غصنا في نفسيّة هذه الفئة الجماهيريّة؛ لوجدناها قد تلقّت تربية تعتمد على الطّاعة و الاحترام فقط، و نبذ كلّ نقد في كافّة صوره : كالجدل، و التدخّل في ما لا يعني المتحدّث، إحداث فتن ... الخ.

إنّ توجّه المنشدين آنذاك إلى جمهور منهم و إليهم في صفة عامّة؛ فرض التّعامل بعقليّة اللاّ مبالاة، لا داعي لتوفّر عامل الإتقان ما دام الخطاب موجّها لجمهور ليس غريباً عنّا، ممّا انعكس على جانب النّقد، فالجمهور لا ينقد، و الإنشاديّون الذين هم منشدون لا ينقدون شيئا.

لا نعني بمفهوم الإتقان العمل الرّفيع، إنّ إنتاجات إنشاديّي مدرسة التّتابع لها من الرّفعة و الرّقيّ ما هو مفقود عند الكثيرين حتّى الآن، غير أنّ هذا ليس مرآة تعكس المطلق؛ حيث يتّسع المكان لأكثر من معكوس، و في الواقع لم يتّخذ الإنشاد ما هو مفروض عليه أن يأخذه كأداة من أدوات الدّعوة، له استقلاليّته الخاصّة به، و لو نُظر إليه بناء على هذه النّظرة لتغيّر كلّ شيء.

نزعة التّسارع :

تمثّل نزعة التّسارع المقاربة الدّيناميكيّة بين محطّتين نقديّتين، محطّة الأزمة و محطّة زوالها، و لو بحثنا جيّدا عن جوهر هذه المقاربة؛ لوجدناه لا يخرج عن عالم الأفكار، إذ ارتكز السّياق العام على الثّورة الإنشاديّة لدى حركة فان، و على النّهضة الإنشاديّة لدى حركة المقام الجديد، و ارتبطت الرّؤية بما تقف عليه من قيم للفعل الإنشاديّ، و لوحظ أنّ التّقييم على اختلافه و اختلاف ما ينشأ عنه؛ لا يمثّل سوى فكرة قائمة على ضرورة معالجة جوانب متعدّدة من أيّ عمل، أي أنّ الثّورة أو النّهضة تشمل كذلك الميدان النّقديّ، بما يضمنه هذا النّقد من ثورة أو نهضة للأعمال.

» ما علاقة الزّمن بالحراك النّقدي ؟ :

تعبر مرحلة الحراك النّقديّ محطّات زمنيّة متتالية، تساير بها التّغيّر المستمرّ للزّمن، و ما ينشأ عنه من آثار على عناصر الوجود، إذ الزّمن عنصر متحرّك جدليّ مع غيره من العناصر، و هو يحمل قيمة تسارعيّة مخيفة، تصل إلى حدّ إنكار الزّمن الحاضر، و في هذا المجال تقع الفكرة على نقد شيء ما في إطار ما قد يخلّفه مستقبلا، أي استمرار الوضع تحت ضوء معيّن عبر الزّمن، و وفق الارتباط الجدليّ للوجود؛ فإنّ النّتيجة قد تتغيّر و لو لم تتغيّر العناصر الموصلة لها، فيكفي الزّمن و ما ينشأ عنه من تأثيرات على عناصر بعيدة؛ أن يصل بهذه العناصر إلى دخولها حيّزا ذا دلالات عميقة إلى الجوهر؛ على عمل ما.

» كيف يؤثّر النّقد على البنية الفكريّة ؟.

من الطّبيعيّ جدّا أن تتغيّر البنية الفكريّة للأفراد و الجماعات شيئاً يسيراً أو كثيرا، تغييرات طفيفة أو جذريّة، نهضويّة أو ثوريّة، نظراً للآثار العامّة و الخاصّة على الفرد و الجماعة، و هذا هو ما يسمّى بالتّربية العامّة التي يتلقاها أيّ شخص منّا إذا كان جزءاً من الوجود، و ما يتبعه من تفاعلات بين عناصره، دون أن ننسى أو نهمل القيمة الوجوديّة لهذا الفرد، رغم ما قد ينتابنا من استقلال لأفعاله المختلفة، تصل بالبعض إلى حدّ الاستهزاء.

إنّ فعالية أفعال الفرد العامّة لا تصل إلى العدم مطلقا و لو قلنا ذلك، فهو تعبير مجازيّ غير دقيق بالمرّة، فالحقيقة الجوهريّة أنّ درجة الفعالية في تزايد و تناقص، فإذا وصلت إلى درجة الانعدام حقّقت بذلك عدم وجود هذا الفرد في الوجود، و ما يُقال عنه يُقال عن الأشياء الجامدة، غير أنّ الشّيء له أثر، أمّا الفرد فله فعل و أثر، ينعدم الأوّل بموته، أمّا الثّاني فلا ينعدم، و قد نكون مبالغين إذا مددنا زمن اللا انعدام إلى يوم القيامة.

النّقد جزء من عناصر التّفاعل المؤثّرة في الوجود بما يحويه و يشمله، و عموماً فالنّقد هو النّصح بعيني خبير، تعزيز أو تصويب للأفعال الإنشاديّة التي تحويها الأعمال المطروحة، و كلّما غاص النّاقد في الأعماق؛ استخلص الجذور، و ما يبنى عليه الظّاهر، مستعملا الأيديولوجيا في عمليّة الغوص.

يتجاوز تأثير النّقد البنية الفكريّة للإنشاديّ بما هو شائع لدى النّاس من توجيه النّاقد نحو صواب الأفعال، حيث ينتظر الإنشاديّ ردّ فعل خبير على عمله؛ إلى اتّخاذ نظريّات عامّة مسيّرة للوجود، فعل فيها الزّمن فعله، باعتبار قيمة الأثر الذي يخلّفه الزّمن على العناصر.

تغيّر النّظرة :

بـات من الضّروريّ أن تتغيّر النّظرة السّابقة إلى أخرى جديدة، بناء على أفكـار دخلت النّسـق الفكـريّ للإنشاديّين، و ما فتئ التّطوّر يتأتّى شيئاً فشيئا، و ينمو الوعي لدى أفراد مدرسة التّتابع مبدئيّا على شكل هلال لم يصل بعد إلى درجة الاكتمال.

لنرَ ما هي أهمّ عناصر الانفتاح على ضرورة النّقد الإنشاديّ :

- دخلت مفاهيم جديدة المنظومة الفكريّة للجماهير؛ فأثّرت على مستوياته العقليّة و طريقة تفكيره، فبعدما كان يُخشى أن يتكلّم في أيّ موضوع؛ أضحى يخوض في كلّ نقاش إلى حدّ الثّرثرة، و لعلّ أهمّ عامل مساهم في هذا كان انتشار مفهوم **الدّيمقراطيّة**، بما تحمله من مضامين من بينها حريّة الكلام، فانبثقت منه حريّة النّقد كتحصيل حاصل.

في الأصل تعتبر الدّيمقراطيّة فوضى مراقبة عن بعد، مناخ عام يشجّع السّفهاء و العوام على إبداء آرائهم في مواضيع لا يفقهون منها و لا فيها شيئا، و إن حدث فهو إدراك عام لا يرقى إلى دقائق الأمور، و عليه فإنّ مناخاً على هذه الشّاكلة؛ ينمو فيه الحسّ النّقديّ و لو بصفة عابثة، جوّ مساعد على نموّ الرّوح النّقديّة، بما تحويه من فكر لا يقبل أيّ شيء، يخوض الناس في مسائل لا يعون حجمها، فلا يدرك أحد تعقيداتها على الإطلاق، بل يرى أنّ البساطة تحكم كلّ قضايا الوجود.

و باعتبار الدّيمقراطيّة أداة تشجيع للعوام من النّاس على أن يخوضوا في كلّ قضيّة؛ فهي لا تتجاوز كونها في هذه الحالة مناخاً يكتم أنفاس الواعين من النّخبة الفكريّة، ممّن يتميّزون برشد يرفعهم عن الدّهماء و الرّعاع.

● تمتّع بعض الأفراد من مدرسة التّتابع بوعي طفيف، سرعان ما بدأ في النّموّ و التّطوّر، فأدرك هؤلاء أنّ الإنشاد ليس كما كان متعارفاً عليه قديما، بل الأمر أعقد ممّا كان يخضع له التّصوّر، و أعمق ممّا كان يسلّم له الاعتقاد.

انطلاقة فرضت عقليّة التّحليل العلميّ للأشياء، أي النّظرة الفلسفيّة إلى الإنشاد، بعدما كانت دينيّة صِرفة، قائمة على فكرة التّرويح عن النّفس، و لا يمكن بأيّ حال من الأحوال إنكار تحميله الرّؤية الدّعويّة، غير أنّ ذلك لا يتعدّى رؤية سابقة رثّة إذا ما قورنت بما يتطلّبه التّجديد من تحديثات تصل إلى درجة الحتميّات.

نتجت عن عقليّة التّحليل العلمي الفلسفي التّسليم بمسلّمات من أهمّها الخطأ و النّقص الذي يتّسم بهما العمل البشريّ، و بالتّالي ضرورة وجود من يقيّمهما و يقوّمهما، فكان النّاقد الإنشادي.

لم يكن الميلاد سوى بذرة في طور النّشوء، لم تصل بعد إلى مرحلة الاختصاص، أي أنّ النّاقد الذي عرفته مدرسة التّتابع ناقد شامل، ينقد كلّ شيء، إذ كلّ ميدان هو ميدانه، و ما يمتّ ذلك إلى الحقيقة الجوهريّة بصلة، و لكن يبقى الوعي خطوة ابتدائيّة، يتوضّح كنهها يوما بعد يوم، و سنة بعد سنة.

● بدأ التّفكير بالإعلان عن مدرسة الاختصاص يدخل مرحلة جديدة، و دخلت النّوايا حيّزا جديدا، باتّخاذ تدابير أوّليّة من شأنها جلب تقبّل و لو جزئيّ لأفكارها الثّوريّة، نستعمل هنا كلمة " الثّورة " كماهية فقط لا كمفهوم، تبيانا لمدى غرابة بعض الأفكار عن القسم الأعظم من الإنشاديّين، الذين لا عهد لهم بما أتت به مدرسة الاختصاص.

كان التّحضير للإعلان عن مدرسة الاختصاص من أصعب العقبات، فلقد كان يُخشى أن يتّخذ أفراد مدرسة التتابع موقفا عدائيّا، فكان من أبرز الحلول الاستنجاد بالمتفتّحة عقولهم منها، الذين بدا عليهم نوع من التّغيّر الفكريّ و لو بهامش ضئيل جدّا، فهي بشارة خير أفضل بكثير من المتشبّثين بأفكارهم الرّجعيّة، دون أن يلاحظوا و لو ضبابيّا أنّ أفكارهم البالية ما عادت تجدي نفعا، على ضوء المتغيّرات الطّارئة في العالم هنا و هناك، و المستجدّات غير المستقرّة.

و عندما يتمّ الإعلان رسميّا عن وجود مدرسة إنشاديّة جديدة معناه اختلاف فلسفتها عن المدارس الأخرى بطبيعة الحال، بما يضمن و يؤمّن استقلالها الوجوديّ كمدرسة قائمة على أسسها الخاصّة، من قواعد و أركان يجب أن تكون متينة.

من بين ما تؤمن به مدرسة الاختصاص و تعتبره خطّا أحمر في الإنشاد؛ قضيّة استقلاليّة الأدوار، و انقسامها إلى أدوار فنيّة كالمنشد و المشرف و ضابط الإيقاع ... الخ؛ و غير فنيّة تشمل باقي الأدوار كالملحّن و الشّاعر و الموزّع مثلا، و النّاقد الذي يلعب دوراً استراتيجيّا في الحركة النّقديّة، باعتباره مركزها الذي تدور حوله مدارات النّقد المختلفة، فلو لم يكن النّاقد فهل سيكون النّقد ؟، أي أنّه الفاعل بفعله، و إذا تقبّلت العائلة الإنشاديّة النّاقد في دور مستقلّ له من الفعالية و المصداقيّة ما يؤثّر على أصحاب الأعمال؛ فهو توطئة و تمهيد لتقبّل قضيّة الإنشاديّ المناسب في المكان المناسب في الزّمن المناسب، أي بعبارة بسيطة " مدرسة الاختصاص ".

● عرف مفهوم الدّعوة الفنيّة تفعيلاً حديثاً يختلف عمّا كان سائداً من قبل، متّجها إلى العالميّة كمبدأ من مبادئ الفلسفة الإنشاديّة الحديثة، بعدما كان المصطلح يحمل أبعاداً لا تتجاوز الحدود السّياسيّة للدّولة، و خاصّة في سيادة مفهوم " الوطنيّة ".

راح مصطلح الدّعوة الفنيّة يشهد نموّا اتّساعيّا باستمرار، تتعهّده وسائل الإعلام و التّكنولوجيا الرّقميّة، فما فتئ الخبر تتناقله وسيلة لتبثّه إلى جمهور معيّن؛ حتّى تخطفه أخرى متّجهة إلى جمهور آخر قد يكون مغايرا لسابقه، أو تزيد من وقعه على الجمهور الأوّل، و نمى التّفكير الاستقلاليّ بما يوجبه من نتائج و استمرّ جسد الدّعوة يمتدّ و يمتدّ، و كلّما بلغ مرحلة متقدّمة؛ اتّضح أنّه حقق شوطاً قياسيّا مقارنة بالمرحلة السّابقة التي كان فيها.

إرتكز أخذ الإنشاد لمفهوم الدّعوة في ثوبها الفنّي، لما يحويه من محتوى جوهريّ، فهو فنّ غنائيّ مثل سائر الفنون الغنائيّة الأخرى، و لكنّه يختلف عنها بما يدعو إليه باعتباره فنّا غنائيّا دينيّا أوّلا، و بما يقدّمه للمجتمع من مادّة تربويّة ذات قيمة عالية بعيدة عن التّفاهات التي تشغل النّاس عن واجباتهم ثانيا، و عمّا يقتضي وجودهم أن يأخذوه كأولويّة من باقي الأولويّات.

إنّ حضور مواضيع غير مهمّة، و شغلها لمكان أكبر من حجمها في المساحة يحتّم تدخّلا ممّن يدركون أنّ الأمر سيؤول إلى الضدّ إذا استمر على المنوال السّائر، سيتحقق الضّرر من شيء لا يحمل في جوهره ضرراً إلاّ إذا زاد عن حدّه، و شغل حيّزاً وجوديّا من المفروض أن يقف عند حدوده وقوفاً لا يمتدّ إلى صورة أخرى.

● نمت بعض المظاهر السّلبيّة عند العائلة الإنشاديّة كالسّطو على الألحان من فنون غنائيّة أخرى، و إهمال اللّغات الأكاديميّة ممّا فسح المجال إلى لغات عاميّة، هي في الواقـــع خليط عشوائيّ من مركّبات من هنـا و هنــاك، **و خاصّة إذا كان الأمر يخصّ اللّغة العربيّة، لغة القرآن الكريم التي بها نزل، ممّا سيهدّد هذا الدّين منذراً باندثاره،** فيكون الإنشاد الذي من المفروض أن يدعو إلى الصّراط المستقيم معول هدم و رفش إزالة.

إنّ تفشّي مظاهر سيّئة بين أوساط الإنشاديّين سيفتح ثغرات تكون سبباً في انهيار البناء الإنشاديّ كنسق تربويّ قائم، فيصبح عديم الفائدة، لا يحمل من القضيّة إلاّ شكلها فقط، هذا إذا افترضنا ضمان عدم تحوّله إلى وظيفة عكسيّة.

من منطلق " السّاكت على الحقّ شيطان أخرس "؛ تنمو فكرة مقاومة المظاهر السّلبيّة للحدّ من انتشارها، و النّاقد هو أهمّ شخصيّة تجسّد **المقاومة**، بما له من ثقل مأخوذ من وظيفته في رأب الصّدع، و صون ما هو مؤهّل لصيانته.

● فرضت عقليّة التّحليل العلميّ الفلسفيّ للأشياء نفسها، إذ من غير المعقول أن يبقى الجميع ينشدون هكذا مثلما بدؤوا، فالعالم يتطوّر، و الإنشاد كجزء من هذا العالم يجب أن يتطوّر، و لكن عمليّة التّطوّر تختلف من عقليّة لأخرى، و كلّ شخص يرى شيئاً في ذات الشّيء لا يراه غيره، أو قد يراه بدرجة أقلّ أو أكثر منه، أي اختلاف زوايا النّظر أمر وارد جدّا، بل منطقي عقليّ، باختلاف مستويات التّفكير، و تباين القوى العقليّة للأفراد، فهل من الحكمة ترك السّاحة تعجّ بآراء نقديّة يناقض بعضها بعضا ؟.

قبل الإجابة يجب أن ندرك أنّ منشأ الصّراع الفكريّ نابع من التعصّب للرّأي، و نبذ الرّأي المخالف، رغم هذا الرّأي الذي يأخذ نصيباً معيّنا من النّبذ قد يكون صحيحاً سليماً في جوهره، لم يقدر صاحبه على التّعبير عنه بقرائن دامغة، و زيادة عليه؛ قد يكون متمّما للرّأي الذي اتّخذناه منصّة ننطلق منها لمهاجمته. (انتبه هنا)

إذن فتباين القوى العقليّة للأفراد لا يكون فقط في الاستيعاب و التّقبّل؛ بل يكون أيضا في طريقة الطّـرح و زمنها و مكانه ... الخ.

● أدّى دخول فكرة تعقيد الوجود إلى الوسط الفكريّ إلى التّفكير في ضرورة نموّ الفكر النّقديّ لما يحمله من اجتهـــادات تساهم في ترقيـة الإنشــاد كفنّ مستقلّ بنفسه، و علم قائم بذاته، حيث بدأت تغيب فكـــرة بساطـــة الأشيــاء و سطحيّتها، و لو كانت الأشياء معقّدة في ذاتها فقط لهان الأمر، لأنّها تختلف من شخص لآخر، و إنّما يتجاوز التّعقيد العلاقات فيما بينها، و الرّوابط التّأثيريّة المنتشرة في كلّ اتّجاه، و في مختلف الأبعاد، و حتّى بُعد الزّمن يتداخل في بُعد المكان، منعكساً كله على الإنشاديّين، إضافة إلى الاستنتاج ممّا سبق أنّ **أيّ شيء إلاّ و له قيمة في الوجود**، فالله تعالى لم يخلق الأشياء هكذا عبثاً أو بصورة عشوائيّة، بل حتّى الصّورة التي خلقها عليها بحكمته، و الكميّة و الحجم معلوم بذاته، و سابق إلى علمه سبقاً غير مسبوق إلاّ بحكمته عزّ و جلّ، و محصور عليه. (علم الغيب)

● برزت ظاهرة المهرجانات و المسابقات، و هي من النّاحية الدّعائيّة وسيلة هامّة جدّا في لفت انتباه الجمهور، و إيجاد آليّة تنافس مبنيّة على تبادل كمّ معيّن من الخبرات، غير أنّها تخضع لأحكام معيّنة كي تكون فعّالة ذات مصداقيّة، و النّقاد هم خير من يصدرون هذه الأحكام، أ كانت متّسمة بروح التّنافس؛ أم تقييميّة قصد بلوغ درجة الاستكمال.

إنّ الحراك الإنشاديّ العام المتولّد من تنظيم مسابقة أو مهرجان؛ و خاصّة إذا أُعطي حجماً دعائيّا كبيرا؛ قد يكون مفتقراً إلى ما يجعله ذا صدى جوهريّ، لا يتأتّى إلاّ بتوفّر حراك نقديّ له، يشجّع الكامل و يكمل النّاقص.

و لئن تغيّر المفهوم تجاه التّحكيم؛ فهو تغيّر قائم على عنصر الثّقافة الإنشاديّة الواسعة التي ينبغي أن يتمتّع بها الحكّام، الذين هم في الأصل نقّاد في تشكّل جديد، و على عنصر الاختصاص لأنّهم ينقدون عملاً مقدّماً أمامهم مكوّن من عدّة مكوّنات، يجب عليهم التّخلّي عن الفكرة القديمة تجاهه.

● اقتحم السّاحة الإنشادية إنشاديّون جدد انتقلوا من فنون غنائيّة أخرى للإنشاد، بيد أنّ انتقالهم لم يكن فكريّا بل مجرّد ارتجال سطحيّ، حيث احتفظوا بمجمل المخزون الثّقافي محاولين الاستعانة به في المقام الآني، الشّيء الذي بدا غير مناسب تماما، فلكلّ فنّ غنائيّ فلسفته الخاصّة، و أيّ تعميم عشوائيّ يمكن له أن يفكّك الأركان و يطيـح بالأسس، و خاصّة إذا كانوا في فنّ غنائيّ هدّام، **إذ تختلف آلات البناء عن آلات الهدم**، و لا يمكن لعاقل أن يترك ما هو مصمّم لوظيفة بذاتها؛ مستعملا إيّاه في وظيفة أخرى، قد يصل مستوى الاختلاف فيها إلى أقصى حدّ.

لنركّز هنا على مفهوم الإنشاديّ من النّاحية العميقة، لأنّ البعض من روّاد الفنون الغنائيّة الأخرى عملت أعمالاً إنشاديّة، من حيث الشّكل العام فقط، أي أعطوا أناشيد سليمة مظهراً من حيث الاقتصار على الإيقاع دون تجاوز الخطوط الحمراء في الجهة الأولى، و أحيانا ذات جوهر سليم في الجهة الموازية، و لكن الملاحظ سيجد شيئا آخر، إذ أنّ هؤلاء الإنشاديّين اعتبروا الإنشاد فنّا غنائيّا فقط دون أن يتبنّوه كرسالة دعويّة، و هو ما يفسّر تناقض ما تلوكه ألسنتهم، فالأخلاق السّليمة مفقودة عند القسم الأعمّ، و سرعان ما يقدّم رسائل سلبيّة جدّا عندما يمارس فنّا غنائيّا آخر.

• تشجيع بعض الأطراف على التّناحر الطّائفي و المذهبي خدمة للمصلحة الشّخصيّة، قضيّة لا يمكن السّكوت عنها بأيّ حال من الأحوال، فهي تمزيق لوحدة الأمّة الإسلاميّة، و توجيه قواها ضدّ بعضها البعض، أي أنّها تحريف واضح لقوّتها.

إنّ بذر بذور الشّقاق بين أبناء الدّين الواحد خطر يهدّد الجماعة العالميّة ككلّ، فالعالم يجب أن يسود فيه هؤلاء الذين أتاهم الله خير الأديان، فإذا وجّهوا قواهم إلى نحور بعضهم البعض لن يسود فيهم أحد، **و سيدمّر العالم لأنّ لا أحد لديه القدرة على حكم العالم حكماً فيه خير للجميع إن لم يكن مسلما من المسلمين و مؤمنا من المؤمنين.**

يمهّد التّعصّب و المغالاة لعمليّات التّناحر الطّائفيّ و المذهبيّ، فالمتعصّب لا يرى الحقيقة إلاّ عنده، و الكلّ سواه منبوذ يجب لعنه، و هذا هو عين الخطأ، فالسّليم احترام ما يفضي الخروج منه إلى الكفر، أمّا الاختلافات الأخرى فهي عادية جدّا، كلّ جماعة إلاّ و لها خطوط حمراء لا تتجاوزها، كي تحافظ على وجودها، و في الوقت ذاته يستحيل أن يفكّر الجميع بطريقة واحدة وفق زاوية نظر مشتركة، و من يسعى لإيجاد ذلك؛ لا يعدو أن تكون جهوده صراعاً مع نواميس الله في الطّبيعة.

على مشارف القرن الواحد و العشرين :

يجب أن يحصل لدينا إلمام واضح بما يتداخل مع الدّيناميكا النّقديّة الإنشاديّة في نهاية القرن 20 الميلادي، فدراسة التّاريخ ليست منفصلة باعتبارها من الوجود المعقد بطبيعته، و حتّى يُؤتى بالكامل؛ فإنّه من الأجدر التّطرّق لما يؤثر في الحراك النّقديّ، الانتقال إلى القرن الذي يليه و بالضّبط بداياته لما لها من علاقات مباشرة مع المتغيّرات التي حدثت في السّابق.

1 - وضع تمهيد للنّشاط النّقدي الذي تتطلّبه السّاحة الإنشاديّة بما يستوجبه من ضروريّات.
2 - إعطاء لمحة مقتضبة حول الحركة النّقديّة الإنشاديّة العالميّة.
3 - إبداء حرص من نوع معيّن تجاه فحوى الموضوعات الإنشاديّة المطروحة، سواء في صفة أناشيد مسموعة أو أناشيد مصوّرة أو كتب ... الخ.

• نمت النّزعة النّقديّة لدى العائلة الإنشاديّة، و كانت شبكة الانترنيت حقلاً خصباً لها لما تتوفّر عليه من خصائص كالمنتديات الحواريّة، و لما تتمتّع به من حريّة مقارنة بمسارات إعلاميّة أخرى، و سهولة انسياب المعلومة في كلّ اتّجاه، حتّى أنّها ما فتئت تدمج كلّ الوسائل الإعلاميّة الأخرى المعروفة سابقاً بعضها ببعض، فتداخلت الصّورة مع الصّوت مع الاستنساخ مع التّسجيل مع البثّ ... إلى غير ذلك ممّا هو معروف باستقلاليّته في السّابق، و في جوهر القضيّة إذا شئنا؛ **تحوّل الجمهور من مستقبل فقط إلى متفاعل مع المعلومة**، بكلّ ما يشمله مفهوم التّفاعل من أبعاد، أي التّداخل في المحتوى أوّلاً، و نشر هذا التدخّل ثانياً، مع إمكانيّة الاحتفاظ بكلّ شيء وفق قائمة مطوّلة بتطويره ثالثاً، و رابعاً، و خامساً ....

إنّ الانترنيت وسيلة جديدة هدفها إنشاء دولة عالميّة واحدة لا تعترف بالحدود السّياسيّة، بتنمية الشّعور الوحدوي لدى الأفراد من كافة الدّول، و ربّما قد يختفي مصطلح " دولة " ليحلّ محلّه مصطلح " منطقة "، أو أيّ مصطلح آخر يعبّر عن جهة من جهات الدولة العالمية الواحدة.

• من بين أهمّ نتائج الدّيناميكا النّقديّة التي ميّزت نهاية القرن 20 بعد ظهور مدرسة الاختصاص كمدرسة إنشاديّة حديثة تعتمد على فلسفة العلم علاوة على هذا الأخير، و ظهور مدرسة جديدة تحمل اسما ما، يجب أن يكون موجزاً لما تحويه، و غالباً ما كان يقترن اسمها باسم آخر هو مدرسة " الأفكار ".

تعتمد مدرسة الاختصاص على الأفكار لتتجدّد باستمرار، فهي ليست ستاتيكيّة مثل مدرسة التّتابع، بل تحاول دائما و بصفة مستمية التّقدّم عبر الزّمن بخطى راسخة مستوحاة من الفكر الإنشاديّ الحديث، و ارتكازاً على المبادئ العشرة للفلسفة الإنشاديّة، كلّ ذلك بغية التّماشي مع المتطلّبات المتتالية للفرد وفق الرّؤية الإسلاميّة.

إنّ المتابع و المحلّل لمبادئ فلسفة الإنشاد؛ يلاحظ نقطة جوهريّة، فالأفكار تنبع من العقل، و لكن العقل لا يمكنه أبدا أن يصل إلى الحقيقة الكاملة، لعجزه عن بلوغ ذلك، و بالتّالي فإنّه ملزم باتّباع معرفة مرسلة يعبّر عنها بمبدأ " العقل المتّحد "، في إشارة إلى اتّحاده مع الله فكريّا و عقائديّا، حتّى يستطيع أن يرسم طريقاً مضيئا، أمّا إذا انعزل فلن يصل إلى ما يسمّى " الحكمة "، و لو بدا العكس تماما، لأنّ الله واحد أوحد، أزليّ منذ القدم لا أوّل له، و سرمديّ إلى ما لا نهاية لا خاتمة له، هو وحده مالك هذا الوجود و خالقه، و المتحكّم فيه المدبّر لشؤونه، و لا يستطيع أيّ أحد و لن يستطيع أن يتولّى مهمّة التّدبير فضلاً عن الخلق، بما تحويه هذه المهمّة من اطّلاع على كلّ صغيرة و كبيرة في هذا الوجود، إذ لا يُعقل أن يدبّر شخص ما أيّ موضوع تدبيراً كاملاً تامّا، دون أن يكون ملمّا بكلّ حيثيّاته، و الإلمام هنا نقصد به العلم، فهو معرفة أسرار هذا الوجود المخلوق، و لن تلمس أيّ سرّ إذا لم تكن تجمعك علاقة طيّبة مع صاحبه، و ما القوانين الفيزيائيّة و الكيميائيّة و الرّياضيّة و النّفسيّة و الاجتماعيّة ... الخ، و ما ينتج عنها من علوم جديدة إلاّ أسرار متزايدة، تقتضيها الدّعوة الفنيّة.

● حاول بعض الإنشاديّين إقحام فنّ التّغريد ضمن فروع فنّ الإنشاد، لأنّهم اعتبروا أنّ آلات الإيقاع على شاكلة واحدة مع آلات العزف، باعتبارها آلات موسيقيّة، فلم يتفطّنوا لدقة الأثر الذي يتركه أيّ شيء في الوجود و لو كان قليلا، ممّا ولّد نفوراً فكريّاً لدى البعض، من الذين أدركوا قيمة تداخل عناصر الوجود و تفاعلها، و تيقنوا أنّ الإنشاد له هويّة خاصّة به تميّزه عن باقي الفنون الغنائيّة الدّينيّة، و لا سيّما **فنّ التّغريد**، و لا يتّسع المجال لذكر الكيفيّة التي نشأ بها هذا الأخير بصفة دقيقة، بيد أنّه يجب أن يُعلم استقلاليّة الإنشاد عنه استقلاليّة تامّة، فلا هو فرع منه كما اعتقده البعض و يعتقده؛ و لا الإنشاد أصل التّغريد، لأنّ آلات العزف الموسيقيّة ضاربة بجذورها في التّاريخ قبل بعثته صلّى الله عليه و آله و سلّم.

لقد خرجنا في هذا الموقف من قضيّة الحلال و الحرام، فلو كانت آلات العزف محرّمة؛ فالقضيّة أرفع من أن نتوغّل فيها، أمّا إذا كانت تأخذ حكم الجواز؛ فذلك علم قائم بذاته، و فنّ مستقلّ بنفسه يطلق عليه اسم فنّ " التّغريد ".

إنّ الفكرة تأخذ بعداً إجماليّاً كبيراً مقارنة بما يفهمه البعض أو يتخيّله، فآلات العزف المرفوضة؛ لها من موقف الرّفض ما يترتّع على كامل الأنشودة، و لا معنى أن نقبل نسبة قليلة بدعوى أنّ ذلك شيء بسيط و لا يؤثّر، فإذا كان الوجود معقدا؛ يقبل علاقات تأثيريّة تفاعلية متعدّدة؛ فالقضية تحتمل الأثر النّاتج عن الشّيء و لو كان بسيطاً جدّا.

إنّ إصدار أحكام تتضمّن القلّة أو الكثرة يختلف من شخص لآخر، و هذا المتغيّر قد يقلب الموازين رأساً على عقب.

● بـرز النّاقد الشّموليّ كخطـوة مبدئيّة لظهـور النّقد الإنشـاديّ، فالقضية دائماً لا يمكن إدراكها دفعـة واحـدة، و سبحان الذي يخرج الشّيء من العدم كاملاً سليما.

إنّ الوعي بمدى الدّور الذي يلعبه النّاقد يمثّل بداية الطّريق لمرحلة تجسيد متنامية سيعرفها ميدان النّقد الإنشاديّ بإذنه تعالى.

تكمن خلفيّة النّاقد الشّموليّ في الغوص التّدريجيّ في الأمور وفق ما يُرتسم من معلومات جديدة، تُكتشف شيئا فشيئا، و علوم تظهر عبر الزّمن، توظّف في البناء النّقديّ، و بتوظيفها يتوسّع المجال شيئا فشيئا، و تضيق المساحة العامّة إلى مساحة خاصّة؛ دون أن يكون ذلك سبباً في انتقاص أيّ شيء من السّياق العام، بل ضيق المساحة العامّة ما هو سوى اتّساع مقنّن، سرعان ما يزداد اتّساعاً بزيادة ضيق المساحة العامّة.

● مكّن ظهور علم البرمجة العصبيّة من رفع شأن الحراك النّقديّ، بما يحويه هذا العلم من نظريّات و أفكار جديدة، كما أنّ هناك من يربطه بعلم آخر هو التّنمية البشريّة، و طرف ثالث لا يميّز بينهما، غير أنّ تركيزنا هنا قائم على القاعدة الفكريّة التي تمسّ النّقد.

يمكننا بمقدرة عالية أن نلج عمليّة الحراك النّقديّ، استناداً إلى ما يأخذه علم البرمجة العصبيّة من مسالك و أركان، فالإدراك يلعب دوراً بارزاً في الوقوف على الحالة الرّاهنة، تمهيداً لتقييم الأوضاع، و في هذا السّياق فإنّ أيّ نقد يعتبر خطوة حتميّة في موقف مماثل، بما يحويه من تقييم ذاتيّ فقط، أمّا نقد الآخرين فأمر يرد بشروط، لما يعنيه من إصدار أحكام قد تكون دون محلّها، أو تعرّض صاحبها لمشاكل من نوع ما.

إنّ الحكم على النّاس أو تجاه قضايا معيّنة لا يمكن البتّة دون مواقف علميّة، تجعل مصدر الحكم على علم بما يقول، فالإنسان يحتاج لاستصدار أحكام نحو بعض الأشياء، من أجل مواصلة حياته، و بناء مواقف جديدة يتوقّف عليها مصيره، إنّ الدّيناميكا النّقديّة الإنشاديّة تكملة لعمليّة الإدراك.

آفاق و تطلّعات :

إنّ النّاظر لمستقبل الحراك النّقديّ الذي يخصّ الإنشاد؛ ليدرك تمام الإدراك أنّ هناك عناصر كثيرة يجب توفّرها في هذا التّفاعل الوجوديّ، كمحاولة وصول إلى نتيجة لها مصداقيّة، ممتدّة إلى صاحبها أو صاحبتها، و العبرة من هذا الكلام هي الفكرة الجوهريّة التي نأمل أن نوصلها، **القائمة على المبادئ العشرة للفلسفة الإنشاديّة الحديثة.**

» تحليل الظاهرة الإنشاديّة :

لا يمكن لأيّ ناقد أن ينقد عملاً إنشاديّاً هكذا من فراغ، إنّ تحليل الظّاهرة الإنشاديّة أمر لا بدّ منه و لا مفرّ، فهي حيثيّات تقرّب الفكرة الرّئيسة إليه، كي يضمن على الأقلّ أرضيّة مقبولة ينطلق منها، صانعاً بيئة من عناصرها الحيويّة كمعطيات تساعده في نقده.

و كي نقرّب الفكرة أكثر؛ نقول أنّ الخطّ الذي سينطلق منه النّاقد خطّ مرسوم على ما يتوفّر له من معارف، و كلّما كان حجم المعلومات كبيرا؛ استطاع النّاقد الوصول إلى خطوط معرفيّة جديدة، بناء على التّعقيد التّفاعلي في الوجود، إلى غاية إصدار حكمه، الذي يكون نسبيّا في العادة.

ينتج من كبر حجم المعلومات تفاعل يكبر حجمه باستمرار، على أساس حركيّة الظّاهرة الإنشاديّة، التي تشهد نموّا داخليّا بين عناصرها الذّاتيّة من جهة؛ و نموّا خارجيّا تماشياً مع وجود هذه العناصر المكوّنة لها في مجموعة من النّطاقات.

تتشابك خيوط الظّاهرة الإنشاديّة تشابكاً مثيراً للغموض، إذ تتداخل عناصرها في بعضها البعض راسمة شبكة معقّدة جدّا من العلاقات الظاهرة و غير الظاهرة، من الصّعب على النّاقد أن يستظهر مكمن القضيّة، و في هذه الحالة فإنّه سيلجأ إلى المحلّل الإنشاديّ كشخص مؤهّل خبير، يوفّر له نوعاً من المعرفة اللاّزمة، بيد أنّ المحلّل لا يمكنه إصدار أحكام، لأنّه ليس ناقدا، و إنّما به يتهيّأ عمل النّاقد.

» تكييف المعتقد :

من أجل تحقيق هدف ما؛ يجب التّعامل مع الأطراف الخارجيّة وفق خطّة مرسومة، سواء كانت سياسة أو استراتيجيا، و إنّه لمن الواجب و الضّروريّ أن يتمتّع النّاقد بذخيرة معرفيّة، منها ما هو ثابت، و منها ما هو متغيّر، فالثابت عقيدة يؤمن بها، راسخة رسوخ الجبال، ترتكز على دعامة الفنّ، و دعامة الدّين، و دعامة الأفكار، أي الإنشاد كفنّ مستقلّ بنفسه استقلال مفهوم لا استقلال ماهية، و علم قائم بذاته، زيادة على كلّ هذا ارتباط النّاقد بالإسلام كدين سماويّ ثالث يمثّل آخر الأديان، دون تعصّب و مغالاة، أو تسيّب و لا مبالاة.

إنّ خروج النّاقد من حيّز فكرته المنغلقة على نفسها أمر يتحتّم عليه إذا أراد فعلاً تحقيق المصداقيّة التي يجب أن تتوفّر عليها أحكامه، أي باختصار شديد؛ الإنعتاق من قيد " فكرتي أو لا فكرة "، و احتمال أفكار الأطراف الأخرى المتغيّرة لديه، دون أن يكون هذا الاحتمال مدعاة إلى التّعدّي على المعتقد الثلاثي الثّابت، دون الخروج عن دائرة الإسلام، أو تجاوز الخطوط الحمراء للإنشاد، أو إلغاء الله من أفكاره إلغاء مكان أو زمن.

» الوسطيّة و الاعتدال :

يجد النّاقد نفسه في مجالات فكريّة كثيرة تحت غطاء الدّيناميكا، تبعاً للحراك الذي سيتيه بين طيّاته، **و الحراك سينشئ جيوب ضغط غير مستقرّة**، مختلفة القوى، ذات منحى متباين عن منحى آخر، سوف تؤثّر جميعها تحت اعتبار تعقيد الوجود و تشعّبه، ممّا سيمهّد لظهور أفكار شاذّة بعيدة عن الفضاء العادي، أمام أفكار من نوع : " الواقع يفرض نفسه "، أو " ما باليد حيلة "، أو " العمليّة الجراحيّة النّاجحة لها مخاطرها النسبيّة ".

لا يمكن للنّاقد أن يتحكّم في الأثر الذي سيخلّفه حكمه على الأعمال بدعوى الدّيناميكا، فإنّ العمليّة تشبه كثيرا ترك سيّارة في الشّارع في وضعيّة غير مناسبة؛ و في الوقت ذاته لا تشكّل إزعاجا لأحد، و كلّ ذلك تحت ضغط ظرف لا يتحكّم فيه أحد.

المحور الثّاني : رؤى و تصوّرات و حقائق

مفهوم النّقد الإنشاديّ :

" النّقد الإنشاديّ " جمع " نقود إنشاديّة ".

لنضع أوّلا تصوّرا لصفة أخذت من النّقد كلّ مأخذ، لا يكون إلاّ فيها، لكن يتميّز عنها بتميّز صاحبه، فالنّقد من المناقشة، و ليست كلّ مناقشة نقدا.

المناقشة هي تبادل أفكار بغضّ النّظر إن كان الاقتناع يحمل الإيجاب أو السّلب، فالأطراف المتناقشة لا تتوفّر لديها أحكام مسبقة تجاه شيء معيّن، فهي في أخذ و ردّ حتّى يتّضح حلّ المسألة، و يرى الجميع نور الحقيقة، فهي في هذه الحالة حكم مسبق عند مقدّم العمل فقط.

أمّا النّقد فلا يكون إلاّ إذا كان هناك حكم مسبق تجاه شيء ما، يريد النّاقد أن يبيّن الخطأ الذي وقع فيه الإنشاديّ، إستناداً إلى ما يعتبره هو حقيقة؛ أو جزءاً من الحقيقة.

إنّ **النّقد الإنشادي** اختصاص و علم قائم بذاته، يقدّم تصوّرا تصحيحيّا للخطأ، و ارتقائيّا للصّواب، بأدوات تعينه على البحث عن الحقيقة التي جانبها العمل، أو التي لم يُغرف منها بالشّكل المطلوب، دون التّهجّم على أصحابه، و دون القدح و الذمّ في الأطراف الإنشاديّة، بل يركّز كلّ التّركيز على ما يدخل ضمن إطار الإنشاد فقط.

و للنّقد الإنشاديّ ميادين كما يتّضح من اسمه، من بينها الشّعر، اللّحن، المهرجان، الكتاب، ... الخ، أي كلّ ما هو إنشاديّ بالدّرجة الأولى.

تعريف النّاقد الإنشاديّ :

هو الشّخص المكلّف باختصاصه بنقد ميادين إنشاديّة معيّنة، ليس بناء على ما وصل إليه من معارف فحسب؛ بل لأنّه خارج حيّز الآتين بالعمل، و كلّما توفّر أشخاص ليسوا من أصحاب الفعل؛ أمكن وضع اليد على العيوب، بشرط أن تتوفّر معرفة منظّمة تمكّن هذا الشّخص من لعب دوره على أكمل وجه.

منطق الخارج عن حيّز أصحاب الفعل منطق يخضع للمسافة التي تفصل بين النّاقد و ما ينقده، فتوفّر بعد مناسب عن العمل المقدّم يسمح برؤية كافّة زواياه، أو ما يعبّر عنه **بالإحاطة**، فلو كان النّاقد لا يقف عند هذه النّقطة الاستراتيجيّة؛ و التي يطلـق عليها مصطلح " نقطـة الإحاطـــة "، لا يستطيـع أن يقدّم نقداً ناجعـاً، يرقى به النّشيد و الأنشودة، فتتناقص فاعليّته، و بالتّالي تذهب مصداقيّته في مهبّ الرّياح.

النّاقد أعقل أفراد الجمهور، بما يتوفّر له من حجم معرفيّ جامع بين 03 أنواع معرفيّة : مرسلة و متراكمة و متأتّية من تجربته الشّخصيّة، و من هذا المنطلق الرّئيس؛ لا يمكن للجمهور أن يكونوا نقّاداً مختصّين في الميدان الإنشاديّ ما لم يكونوا متمتّعين بمعرفة كافية، تخرجهم عن حيّز الجهل.

أنواع النّقد :

للنّقد نوعان أساسيّان : ما يضعف الإنشاد، و ما يقوّيه.

أمّا ما يضعف الإنشاد فهو نقد هدّام، لا يُبتغى من ورائه الحفاظ على مصلحة الدّعوة الفنيّة، ينحصر كلّ همّه في توجيه ضربات قاتلة إلى العمل، أو إلى الإنشاديّين أصحابه.

يهدف النّقد السّلبيّ إلى :

1 - القضاء على معنويّات الإنشاديّين أصحاب العمل المقدّم كالفرقة مثلاً أو دار نشر أو غيرها.

2 - الإنقاص من أهميّة العمل المنجز، أو تقزيمه إلى درجة تجعله يبدو تافها، عديم النّفع و القيمة.

3 - توجيه الرّؤية نحو العمل توجيهاً يحرّض أطرافاً أخرى ضدّ الدّعوة الفنيّة، أو يشتّت الجماعة العالميّة بزرع بذور التّناحر و الانشقاق.

4 - إعطاء العمل المقدّم حجماً أكبر من حجمه الطّبيعيّ المعتاد، كأن يجعله في موازاة شيء لا يمكن أن يرقى إليه النّقص، تطرّفاً و إجحافا، ممّا يزعزع العمل عندما تتّضح الحقيقة، و هذا معروف لدى البعض بـ " قانون الإخلال ".

5 - إيجاد تناقض داخلي قصد تفجير العمل ذاتيّا، إذ أنّ كلّ عمل قد يحوي أشياء تبدو متناقضة، و لكن هذا التّناقض ليس تناقض تضاد؛ بل مجرّد اختلافات تنوّعيّة، و الاختلاف رحمة الله بعباده.

و هناك نقد بنّاء، و هو الإيجابيّ الذي يطمح لترقية فنّ الإنشاد، و إرساء قواعد متينة له.

النّاقد و الجمهور :

يكون النّقد عند الجمهور أيضا، لكنّهم ينقدون أيّ عمل لمجرّد الكلام فقط، ارتكازاً على أسس كثيرة مثل :

1 - يحاول المتحدّث أن يبيّن للنّاس مدى معرفته العميقة بالجانب الذي تناوله العمل، و لكنّه في الواقع لا يعرف شيئا، فهو يتحدّث بما لا يفقه.

2 - يهوى البعض الظّهور أمام الملأ بكونه موسوعة يعرف كلّ شيء، فتجده ينقد المنشد و ينقد الألبوم، و ينقد النّشيد المصوّر و ينقد الكتاب ... و هكذا دواليك، و لكنّه في الأصل يفقه جانباً واحدا، و يعمّم تلك المعرفة، و هذا عين الخطأ، فلكلّ ميدان ميزاته الخاصّة.

3 - هنــاك من الجمهــور من له معرفة سطحيّة، و لديه اعتقاد أنّ هذه المعرفـة تكفيـه لنقد العمـل، فتجده يجـادل و يثرثر، رغم أنّ العمل يكون أكثر عمقا، إلاّ أنّه يوجّه إليه انتقادات و كأنّه خبير بما يزعم أنّه قد سبر أغواره و تعمّق فيه.

و نتيجة لهذه المعطيات؛ لا يمكننا الثّقة في نقد الجمهور، و بالتّالي لا مجال لبناء شيء سليم الرّكائز و الأعمدة، فالجمهور عادة من المتغيّرة أمزجتهم، لكن لا مناص من محاولة الاستفادة من آرائهم، إذ يشغلون مكاناً في فلسفة الارتقاء الحيويّ بالدّرجة الأولى.

يظهر بين أوساط الجمهور ما نعتبره " ناقدا " إنشاديّا، و قد تكون المرحلة التي يمرّ بها شاقة متعبة، من عنصر بسيط لا يتميّز عن غيره؛ إلى ناقد متخصّ، له كلمته و هيبته، و نادرا جدّا أن نجده جاهزا، و قد يكون مروره بمراحل تحضيره سريّا تكتميّا،لا يبرز في السّاحة إلاّ بعلم غزير، و معارف واسعة.

تتولّد الرّغبة الأكيدة لدى البعض في بلوغ أعلى قمم المعرفة النّقديّة، فتكون تصرّفاته مختلفة عن الجمهور، متميّزا عنهم ببعض الخصوصيّات المؤهّلة لدخوله عالم فنّ الإنشاد، حاملا مهمّة حسّاسة لا تقل عن مهام غيره، فتكون له صفات مثل :

1 - صمته الطّويل الذي يتدارس من خلاله أفعال الإنشاديّين.
2 - حبّه للتفاصيل الدّقيقة، و ولعه الشّديد بأصغر أجزاء العمل أو الموضوع.
3 - كلامه مختصر ينتابه الغموض، أو كثير دون الثّرثرة.
4 - قد تكون له أخلاق سلبيّة كحبّ الظّهور، و الأنانيّة .... أو ما شابه ذلك من الصّفات.
5 - يعشق الإتقان لدرجة مدهشة.
6 - متعطّش للبحث و التّنقيب و المعارف الإنشاديّة.
7 - محاور بارع، يأخذك إلى حيث يريد لا إلى حيث تريد.
8 - لا يضجر من كونه ينقد كلّ شيء، فهو ناقد قريب إلى الهواية منه إلى الاحتراف.
9 - يمدّ يده إلى من يعتقد أنّهم نقاد مثله، إلاّ أنّه في قرارة الحال قد يكونون من اختصاصات إنشاديّة أخرى يصعب تمييزها عنده مثل المؤرّخ و المحلّل.

قوى التّجمّع :

نقصد بـ " قوى التّجمّع " مجموعة من النّقاد ذوي اختصاص واحد، أو من اختصاصات شتّى، و تعد هذه الخطوة وثبة استراتيجيّة لما تتوفّر عليه من ميزات و فوائد جمّة، فالنّاقد فرد واحد، و عقل واحد، مهما أبدع و اخترع، فلو انضمّ إليه آخر؛ تمكّنا من الوصول إلى أبعد الحدود، إذا كانا في اختصاص واحد من جهة، أو كانوا عدّة نقّاد في اختصاصات متعدّدة من جهة أخرى.

يمكن لنا حصر قوى التّجمّع في مثالين :

1 - لجنة التّحكيم :

يعتبر ما يُطلق عليه مصطلح " لجنة التّحكيم " أهمّ قوى التّجمّع المعروفة لدى الجمهور، فهي مجموعة من النقاد في اختصاصات كثيرة، تتوجّه بالنّظر إلى عمل إنشاديّ مقدّم لها لتقييمه، و غالباً ما يكون الجوّ العام عبارة عن تنافس بين المشاركين، و تتكوّن لجنة التّحكيم من رئيس، و مرؤوسين حسب الحاجة دون المبالغة في عددهم، فكلّما كان العدد متلائما مع نوعيّة العمل؛ كانت القرارات أنجع، و لنعطِ مثالاً على هذا للتّوضيح، ففي منافسة بين الفِرق يجب توفّر ما

زاد عليه فهو من باب إعطاء فرصة لتقييم العمل من أوجه أخرى كوجود ناقد مختص في الشّخصيّة ينقد مظهر المنشدين.

2 - هيئة النّقد :

هي مجموعة من النّقاد مهمّتها تقييم أيّ عمل إنشاديّ يقدّم لها، لإبداء آرائها المختلفة باختلاف اختصاصات عناصرها، و تجمع داخلها عدّة أفراد في اختصاص واحد، سدّا لكلّ جوانب النّقص الممكنة، و بهذه الوسيلة يتأتّى لها السّيطرة على كافة سلبيّات العمل.

تضمّ " هيئة النّقد " عدّة نقاد قد يشترك ثلاثة أو أربعة في اختصاص واحد، بدءاً بالرّأي الدّينيّ مروراً بالشّعر و التّلحين و التّوزيع و التّأليف و الفلسفة ... الخ.

أهميّة النّقد :

يحتلّ النّقد الإنشاديّ مكانة استراتيجيّة ذات قيمة عالية :

1 - تسليط الضّوء على العيوب بغية تصحيحها، فيكون العمل المقدّم كاملاً إلى حدّ ما، يرقى بذوق المتلقّي له، و يعكس ذوق صاحبه، و مستواه المعرفيّ.

2 - توجيه العمل نحو الأفضل إن لم يكن هناك عيب يراه النّقاد، فهو في هذه الحالة ينتقل من الحسن إلى الأحسن، و من الجيّد إلى الأجود.

3 - تكريس شعور مراقبة الأعمال المطروحة في السّاحة، حتّى يُستبعد الخاطئ النّاقص، و من ليست له دراية عميقة بالإنشاد.

4 - الإرتقاء بالتّفكير الإنشاديّ إلى أعلى مستوى ممكن، و بلوغ أقوى المراكز العقليّة لترقية الإنشاد كفنّ مستقلّ بنفسه.

5 - قطع الطّريق أمام الفوضويّين و أصحاب التّفكير السّطحيّ بما يشكّلانه من خطر على النّشيد و الأنشودة، لأنّ الذي لا يتعمّق في الشّيء لا يُعدّ خبيراً على الإطلاق، و ينعدم منه رجاء مساهمته في دفع الإنشاد إلى الأمام، بل سيؤخّر الدّعوة الفنيّة أجيالاً كاملة، هذا إن كنّا على يقين أنّه يعتبر الإنشاد دعوة فنيّة، أو علماً قائما بذاته، اعتباراً جوهريّا.

6 - يقوّي أواصر العلاقات بين كلّ الإنشاديّين باختلاف اختصاصاتهم، فالفرد مهما زاد علمه لا يمكن له أن يلمّ بكافّة العلوم الإنشاديّة، فإذا ما أنجز أيّ عمل لوحده دون الاستعانة باختصاصيّين؛ سيهاجَم نظراً لحتميّة قصور مادّته المقدّمة، عندها سيلجأ إلى خبرات تغطّي النّقص لديه، و هذا اللّجوء هو شبكة علاقات تربطه مع غيره.

أركان العمليّة النّقديّة :

للعمليّة النّقديّة أركان تقوم عليها :

1 - الإخلاص : العمل بنيّة التّقرّب إلى الله وحده، فالإنشاد دعوة أخذت صبغة فنيّة، تدعو النّاس إلى عبادة الذّات الإلهيّة، و منه فطلب القبول و الأجر يكون منه سبحانه فقط، لا شريك معه، و ليس لحبّ الشّهرة و المال و المجد، فهي معوقات النّاقد، تجعله يغرق في الأوحال، يخدم نفسه على حساب الدّين، و تدريجيّا سيدرك إن أمكنه الإدراك أنّ الدّعوة في جهة؛ و هو في جهة أخرى.

2 - الاختصاص : من غير المعقول أن ينقد ناقد أيّ عمل إنشاديّ مقدّم من جميع جوانبه، نظراً لتشعّب العلوم، و لذلك لا مناص من الاختصاص، فالنّاقد المختصّ في جانب معيّن؛ يبدع فيه، و هو على هذا؛ خبير بخفاياه التي قد لا ينتبه إليها ناقد شامل، أي أنّه يقلّل من هامش الخطأ المبنيّ على جهله و رؤيته السّقيمة للأشياء، و إذا كان هذا المهمّ فهو الأهمّ، لما يمثّله من فكرة جوهريّة، و إلاّ كان النّاقد عبارة عن شخص يتفوّه بما لا يفقه، سواء كان المنقود كتاباً أو ألبوما أو فيديو كليب ... الخ.

3 - المصداقيّة : تعدّ المصداقيّة ركناً ثميناً من أركان العمليّة النّقديّة، فهي مرآة القيمة النّقديّة التي يتمتّع بها النّاقد، فكلّما كانت عالية زادت هيبته و مسؤوليّته في الميدان، لأنّه يدرك أنّ كلمة تخرج من فمه تصريحا؛ أو يخطّها بيده كتابة، بمثابة حكم محكمة، سيضع لها الإنشاديّون ألف اعتبار.

و المصداقيّة تحدّدها الفعاليّة، فلا معنى للنّاقد المتكلّم جزافا، ينقصه احترام النّاس لرأيه باحترامه لدقته.

4 - الحكمة : يجب أن يكون النّاقد حكيما، يعرف الكلمات التي يستعملها في النّقد، و العبارات المستخدمة، و يعلم متى يهاجم بضراوة و شراسة، و متى يكون اللّطف و المجاملة، و متى ينفع الدّفاع، و أين ينبغي، إلى غير ذلك من مستدقات الحرص على الدّعوة.

5 - المعرفة العلميّة : هل يُعقل أن ينقد ناقد عملا و هو يجهل ميدان النّقد ؟، هل يُعقل أن يُرصد للنّقد من لا يعرف شيئا فيه ؟، ما رأيك في ناقد يقول انّه ناقد شعري؛ و لا يستطيع التّفريق بين الأوزان الشّعريّة ؟، و الأدهى من ذلك قد ينقد اللّغة و هو حتّى لا يحسنها !.

إذن من أركان العمليّة النّقديّة توفّر علم كافٍ دقيق قدر المستطاع، يعكسه تحكّم في الميدان.

الأساليب المتّبعة في عمليّات النّقد :

هناك أسلوبان يتّبعهما النّاقد، الأسلوب المباشر، و الأسلوب غير المباشر :

- الأسلوب المباشر : هو توجيه النّقد مباشرة نحو الجهة المقدّمة للعمل، أيّا كان هذا النّقد بأشكاله المتنوّعة.

<u>1 - من إيجابيّات الأسلوب المباشر :</u>

- دقة تبيين مركز الخطأ، بإدراكه الجهة صاحبة العمل أنّ النّقد يعنيها، الشيء الذي من شأنه القضاء على كلّ التّأويلات، و القراءات الخاطئة و المغرضة.
- تعزيز قدرة التّحكّم في الوضع، فينشأ شعور يضيّق المجال على الفوضى و الارتجال.

<u>2 - من سلبيّات الأسلوب المباشر :</u>

- الحرج النّفسيّ الذي قد يجده صاحب العمل خاصّة إذا كان استعمل النّاقد شكل النّصح.
- تدهور قيمة العمل المقدّم في نظر الجمهور، لأنّه لا يفقه في فلسفة النّقد، ففي رأيه أنّ كلمة " النّقد " مرادفة لكلمتي النّقص و العيب.

- الأسلوب غير المباشر : هو توجيه النّقد بطرق ملتوية إلى الجهة صاحبة العمل و من سلك فكرتها، عبر وسائل الإعلام مثلا، و يختار النّاقد الوسيلة الإعلاميّة التي يراها مناسبة.

<u>1 - من إيجابيّات الأسلوب غير المباشر :</u>

- دفع الحرج الذي قد يتولّد عند نقد العمل بطريقة مباشرة.
- توجيه الأفكار لدى البعض قبل خروجها للعلن.
- توليد شعور الحراسة الفكريّة لدى الجمهور.
- إعطاء فرصة للذين ينوون إخراج نفس النّوع من العمل كي يصحّحوا و يثمّنوا عملهم أكثر فأكثر، فإذا خرج للعلن؛ خرج بأبهى حلّة تعكس قيمته الحقيقيّة.

<u>2 - من سلبيّات الأسلوب المباشر :</u>

- إنشاء مناخ من التّأويلات المختلفة كلما تكلّم النّاقد عموماً مستعملا عبارات مطّاطيّة.

النّظرة الازدواجيّة :

معناها باختصار شديد " النسبيّة "، أي النّظرة التي ترى السّلب و الإيجاب متجاورين، و قد تبتعد في مفهومها إلى أنّ السّلبيّة و الإيجابيّة ليستا قيمتين يتميّز بهما العمل بقدر ما هي زاوية رؤية تختلف دوافعها و تركيزها و ما تماثل، فالشّيء السّلبيّ يجب على النّاقد أن يغيّره إلى نقيضه بطرقه الخاصّة المنبثقة من اختصاصه كناقد إنشاديّ، و هنا تكمن الفطنة و العبقريّة، فأيّ عمل يعتبر ناقصا، لأنّه صادر من إنسان، لكنّ النّقص لا يظهر في الوقت الرّاهن بسبب عجز المعرفة الإنسانيّة على بلوغ مستوى متقدّم، نرى منه العيوب الشّائبة، كما أنّ من اليسير جدّا وجود عمل مشبع بالأخطاء، لأنّ النّفس البشرية حين تنشد الكمال تتعب.

كيف يمكن للنّاقد الإنشاديّ أن ينقد نقداً يرتقي إلى أعلى مستويات الدّقة و الرّفعة ؟.

نقول - بالله التوفيق - أنّ حلّ هذه المعضلة يكون في محطّات : تقوى الله / الفطنة / التكنولوجيا.

ما الفرق بين النّاقد و المستشار ؟ :

لقد سبق و أن تعرّفنا على مفهوم النّاقد الإنشاديّ، فقلنا أنّه الشّخص المكلف باختصاصه بنقد ميادين إنشاديّة معيّنة، ليس بناء على ما وصل إليه من معارف فحسب؛ بل لأنّه خارج حيّز الآتين بالعمل، و كلما توفّر أشخاص ليسوا من أصحاب الفعل، أمكن وضع اليد على العيوب، ركز معنا في هذه النّقطة، إنّها جوهر الفرق بين النّاقد و المستشار، فهذا الأخير من أصحاب الفعل، و ينتمي إلى حيّزهم، إذن فالمستشار أقرب لصاحب العمل من النّاقد، و المسافة الفاصلة بينهما تحدّد مدى فعاليّة العمل المقدّم.

للنّاقد هيبة مثل القاضي، و يجب أن يكون كذلك، ألا ترى أنّ مركزه يؤهّله لأن يتبوّأ هذا المقام ؟، أمّا المستشار؛ فيشبهه إلى حدّ ما، لكن لـه خصوصيّة، إذ يتبع جهـة معيّنة ينشط في إطارها مثل المنشد الذي يعمل في الفرقـة، و المشرف، و ضابط الإيقاع ......

و قد يشترك الإثنان في نقطة الإحاطة، فهما في المكان سواء، فرؤية أبعاد الشّيء قدرة لا تتوفّر لكلّ إنشاديّ، فهل كل الناس ترى بالأشعّة ما تحت الحمراء ؟.

ما الفرق بين النّاقد و المحلّل ؟ :

المستشار شخص يُطلب رأيه في مجال إنشاديّ معيّن؛ و المحلّل شخص تتوفّر لديه القدرة على تفكيك مسائل استعصت على الفهم، أو تكون حقيقتها غير تلك الظّاهرة الواضحة، و هو مطلوب الحضور أيضا باعتباره مؤهّلا باختصاصه، **يملك قوّة القراءات بين السّطور**، و رؤية مواقف مجسّدة لن يتمكّن الجميع من رؤيتها.

إنّ أهمّ فرق جوهريّ بين النّاقد و المحلّل يكمن في قضيّة الحكم، فرأي المحلّل ليس مطلوباً بالضّرورة، عكس رأي النّاقد الذي يجب أن يصدر حكمه، بعد الأخذ بأدوات معيّنة تكفل له الصّواب.

و عليه فإنّ المحلّل الإنشاديّ شخص يحتاجه النّاقد في إطار تكامل الأدوار.

ما الفرق بين النّاقد و المؤرّخ ؟ :

يتّسع مجال النّاقد الزّمنيّ و يضيق حسب طبيعة العمل الإنشاديّ المعروض للنّقد، فقد تتوفّر معطيات لها عمقها في التّاريخ، ممّا يجعل الأمر يكتسي طابع إلزاميّة الاستنجاد بشخص مؤهّل يسمّى " مؤرّخا إنشاديّا ".

و المؤرّخ ما هو سوى فرد اختصّ بمعالجة الظّواهر الإنشاديّة عبر الزّمن، في إطار انعكاساتها المتتالية المتداخلة فيما بينها، لما يفرضه الوجود من علاقات تأثير بين عناصره.

لا يُعتبر رأي المؤرّخ مهمّا مقارنة برأي النّاقد، فكما أشرنا من قبل أنّ هذا الأخير سيصدر حكما تجاه عمل ما، بعد اتّخاذ جملة من التّدابير اعتماداً على مجموعة من الأدوات، و تكون الاستعانة برأي المؤرّخ كفرد له من التّأهيل ما يجعله يؤمّن نوعاً من المعرفة الضّروريّة للنّاقد.

شروط النّاقد :

للنّاقد شروط يجب أن تتوفّر فيه حتّى يكون ناقداً بالمعنى التّام للكلمة :

1 - سعة الأفق : المقصود بها ألاّ يقتصر نظر النّاقد على ما أمامه من متغيّرات؛ بل يشرئبّ بعينيه إلى أبعد نقطة يصلها القلب و العقل، فالتّفكير لا يكون مقتصرا على الفترة الزّمنيّة التي يعيشها؛ بل يتجاوزها استشرافيّا إلى المستقبل، فالفكرة عندما تطرح الآن قد تكون صائبة؛ لكن بعد مرور زمن معيّن؛ تصبح ضارّة جدّا، و عندها قد يقول قـائل : " آه، لو أنّنا لم نتفوّه بها ".

إنّ النّاقد بما له من حكمة؛ يرى ما لا يراه الآخرون، فلو كان غير هذا؛ سيكون بئس الإنشاديّ، رؤيته قاصرة، لا يحسن تقدير الأمور بما يعود بالنّفع على العائلة، و أهمّ مثالين نوردهما في هذا المقام؛ إدخال آلات العزف الموسيقيّة في الإنشاد، و إقحام صوت المرأة البالغة في التّنشيد.

يرى الفكر الإنشاديّ الحديث أنّ توظيف آلات العزف أمر ضروريّ لمعرفة الأصوات الصّحيحة من الخاطئة، ركّز جيّدا و تمعّن؛ نقول " نوظّف " و لا نقول " نستعمل " مثلما يراه البعض، بالمفهوم الذي تصاحب آلات العزف المنشد أو الفرقة، فهذا يسمّى **تغريدا**، و ليس إنشاداً، فلو أنّ أيّ ناقد قال : لا بأس في استعمال آلات العزف لكن بشكل مخفّف؛ تكون نظرته قاصرة، و لا يقدّر عاقبة الأمور بالشّكل الجيّد، فالاستعمال المخفّف جدّا يخضع لنظرة كلّ واحد، إذ لا توجد معايير فاصلة، تتبيّن عندها الحدود، فيقف عندها الملتزم، أو نوقف عندها المتجاوز.

لهذا كان رفض استعمال آلات العزف الموسيقيّة **نهائيًا**، و اقتُصر على توظيفها كما سبقت الإشارة إليه، و لو أمكن الاستغنـــاء عنها بتسجيل الأصوات المطلوب التحكّم فيها من طرف المنشدين و المنشدات على وسائط؛ لكـان أحسـن و أفضل و أنفع، قطعاً لكلّ السّبل المفضية إلى الهدم من الدّاخل.

إليك مثالا ثانيا في تنشيد المرأة البالغة، لا نتطرّق هنا إلى قضيّة الحلال و الحرام، فلها علماء الدّين، أعلم بها منّا، لكن إذا قالوا أنّها جائزة؛ فهم ينظرون لها كنظرتهم لاستعمال آلات الموسيقى، وفق شروط تنفي عنها صفة الضّرر، أو يكون النّفع غالباً على القضيّة، و هم لا ينظرون عادة إلى الضّرر الممارس على فنّ الإنشاد، بل يركّزون على ضرر الأفراد و الجماعات.

2 - الموضوعيّة : قد لا تدرك أهميّة الموضوعيّة إلاّ إذا تمعّنت في العبارة التّالية : " ... بل لأنّه خارج حيّز الآتين بالعمل ".

تحمل هذه العبارة بُعد الموضوعيّة في العمل، فالإنشاديّ قد تثقله الذّاتيّة، و قد لا ينجح في التّخلّص منها 100 %، لأنّه بكلّ بساطة صاحب العمل، أمّا إذا أتى شخص آخر خارج الحيّز؛ فسيتمكّن إن شاء الله من كشف ما ووري عن الصّاحب.

تشكّل الذّاتيّة خطراً عظيماً على الإنشاد، فهي الميل إلى نظام إنشاديّ مشخّص معيّن بذاته، كمنشد ما مثلا، و كأنّ الحقيقة الإنشاديّة كلّها عنده، لما في هذا من إجحاف في حقّ الآخرين، و عولمة أسلوب إنشاديّ على حساب أساليب أخرى، فالنّاقد له صورة نموذجيّة ثابتة، يهاجم كلّ من يخالفها، و يثني على كلّ من يحذو حذوها، و بالتّالي فإنّه يدفع عجلة الإنشاد نحو طريق واحد ضيّق، و ما ضيّقه سوى نزعته الذّاتيّة.

3 - النّظرة الموسّعة : هي النّظرة التي لا تركز على شيء واحد موجود في إطار الصّورة، بل تشمل كل ما يمكن رؤيته، و يرمز بها إلى تثمين ما يمكن أن يساند الفكرة الرّئيسة.

أنت الآن في غرفتك، قف عند أحد الحيطان، و صوّب نظرتك نحو السّرير مثلا، دعني أسألك : هل ترى السّرير فقط ؟، إذا كانت نظرتك ضيّقة ستقول : نعم، و إذا كانت موسّعة ستقول : لا، أرى أشياء أخرى بجانبه، التّلفاز مثلا، الأريكة، المرآة ... الخ، مع أنّك تنظر صوب السّرير فقط.

نفس الشّيء ينطبق على الإنشاد، مع فارق الأشياء، ففي المثال حسّيّة مرئيّة، أمّا هنا فإحساسيّة معنويّة.

و قد تشترك النّظرة الموسّعة مع الثّقافة، فالنّاقد المثقف لا تخشى عليه إلاّ اليسير، عكس صاحب الثّقافة البسيطة، فهو لا يعرف منزلاً إلاّ منزله، حتّى إذا دخله أغلق عليه بابه، و صار يخشى النّظر من النّافذة إلى ما فوق حدود ما يملكه.

مصادر النّاقد :

من أين يستقي النّاقد الإنشاديّ معرفته ؟؟؟.

يستقي النّاقد الإنشاديّ معرفته من ثلاثة مصادر معرفيّة هي :

1 - المعرفة المرسلة : متمثّلة في القرآن الكريم و سنّة رسوله صلّى الله عليه و آله و سلّم، لما فيها من قوانين ثابتة، وضعها الله في خلقه، تشكّل سنن الطّبيعة و الحياة، و أسراراً خاصّة لا يطّلع عليها كلّ النّاس.

2 - التّراكـم المعرفي : و هي الخبـرات المتوارثة عبر الأجيـــــال، المتناقلة إلينـا عبـر وسائـل الأرشفـة كالكتـب و المخطوطات، أو بتبادل الحديث و المحاورات، و هي تجارب أناس سبقونا إلى هذا العالم، أحاطت بهم ظروف عامّة و خاصّة، فنأخذ منهم ما يخضع لعامل الإعادة فقط، أمّا الخصوصيّة فهي ميزة **زمكانيّة**.

3 - التّجربة : نقصد بالتّجربة الشّخصيّة منها، إذ أنّ تجارب الآخرين هي تراكم معرفيّ، أمّا ما يكسبه النّاقد خلال ممارسته فتزيد من صقل خبرته، و توسّع دائرة علمه بالأشياء و الأشخاص.

إنّ التّجربة لا تموت، فلا يعتقد النّاقد أنّه مهما مارس من مهام لن يأتي بما أتى به الأوّلون، فهذا خطأ جسيم، لا بدّ له من إعادة مراجعة، ينفي بها الشّوائب و المتغيّرات، و مستحيل أن تكون تجربة الواحد منّا هي نفسها تجربة الثّاني 100 %، فهذا في الأصل لا يمكن له أن يتحقق، لأنّ كلّ فرد يمرّ بحالات خاصّة تميّزه عن غيره، حتّى و إن ظهر هناك نوع من التّشابه المطلق، إلاّ أنّ هذا خداع نظر، كما أنّ الزّمن في استغراقه ينتقل بالإنسان من حالة لأخرى، كل مجال انتقالي متولّد ما هو إلاّ مكان زمنيّ له ميزته الخاصّة به وحده.

سمات النّقد الإنشاديّ :

للنّقد الإنشاديّ سمات بارزة هي الهدف و المسار و المنطلق.

1 - الهدف : و هو الشّيء الذي نتوق لتحقيقه، فنضحّي بما نملك من أجله، و لا خسران أبدا، ما دام التّعويض إلهيّا و بفوائد مدهشة.

و هدف النّاقد واضح لا لُبس فيه و لا غموض، فهو يسعى لإلقاء الضّوء على كل الأخطاء الممكنة و النّواقص في العمل الإنشاديّ، لرفع مستواه، و البلوغ به أقصى درجات النّوعيّة و الجودة، من أجل إيصال الرّسائل الإيجابيّة لتنمية شعوب العالم، و ليس النّاقد من يسعى لهذا الهدف فقط، بل هناك من يشاركونه، إذن فالهدف مشترك، نساهم فيه جميعا، كل من زاوية اختصاصه فتخصّصه، و هو زيادة على هذا يحمل خلّة نبيلة، يشرّف من يشتغل بتحقيقه، و لا شرف أكبر من أنّه جنديّ من جنود الدّعوة.

2 - المسار : نقصد به الطّريق الذي نسلكه للوصول إلى الهدف، و يُطلق عليه مصطلح " الدّعوة "، لأنّك تدعو النّاس إلى الحقّ، و فسّرها كما تشاء؛ أمّا الجمهور فأنت الذي تدعوه بدعوة أصحاب الفعل إلى الحقّ، و منه فأنت تدعو الجمهور إلى الصّواب بطريقة غير مباشرة، فهو هنا في علاقة تعدّديّة، أو اعتبر المسألة دعوة أصحاب الفعل مباشرة إلى ما تجده على درجة تعاكس الخطأ.

و إذا كان المسار دعويّا؛ فهو ذا طابع فنّيّ، يكرّس قيم الجمال، التي تغلّف الحقّ المرجوّ إيصال ماهيّته إلى النّاس، بصورة حكيمة، تدرس كلّ المتغيّرات، حتّى لا يحدث ما ندرجه في الخطأ و المفاجأة، متّخذا من العلم وسيلة استراتيجيّة.

3 - المنطلق : إنّه المحيط الذي ينطلق منه النّاقد تجاه هدفه و مروراً بمساره، و إن شئت قل " خطّ الانطلاق "، أو " نقطة الانطلاق "، و هي على درجة عالية من الأهميّة، فإذا ما كانت مبنيّة على سياسات و استراتيجيّات سليمة؛ كان الوصول إلى الهدف أسلم، فالنّاقد الذي لا يعرف من أين يبدأ يجهل أين سينتهي، بما تسبّبه هذه العشوائيّة من أضرار لشخصه و لجماعته (هيئة النّقد و لجنة التّحكيم)، و للإنشاد.

اعلم أيّها النّاقد أنّ إدراكك الفعليّ للإنطلاقة يمكّنك من الوصول إلى الهدف قبل الآخرين، تمعّن جيّدا في هذه العبارة، فهي تلخّص مدى الوعي الذي من المفروض أن تتمتّع به، **فأنت ترى بالأشعّة ما تحت الحمراء.**

الفلسفة النّقديّة :

إنّ للنّقد الإنشاديّ فلسفة قد لا يستوعبها إلاّ من تمكّن عقله من معرفة ما غاب عن غيره من الضّعاف، شعارها التّطوّر المستمرّ.

- مبادئ الفلسفة النّقديّة :

1 - النّقص البشريّ : يعرّف هذا المبدأ باشتماله على فكرة أنّ ما يأتي به البشر ناقص، و ما يضيفه لنا التّراكم المعرفيّ من اجتهادات و محاولات يبقى دائماً غير مكتمل اكتمالا مطلقا، لأنّ الكمال لله وحده، لا شريك له، أمّا المعارف المنظّمة التي يُصطلح على تسميتها " علوما "؛ تبقى دوماً نسبيّة، بما تحمله الكلمة من معنى و أبعاد، و لا يخفى عن لبيب أنّنا ما أوتينا من العلم إلاّ قليلا.

2 - الخطأ البشريّ : إنّ البشر بطبعهم خطّاؤون، يجانبون الصّواب لسبب من الأسباب، و هذه حقيقة يعلمها النّاقد خصوصا، و هي مبدأ من مبادئ فلسفته، لذلك ينقد بناء عليه، فلو كان الإنسان لا يخطئ؛ لتغيّرت النّظرة النّقديّة للأعمال، و لأصبحت كلّ أفكار النّاقد تكميليّة فقط، تضيف النّاقص و لا تعارض شيئا.

3 - الصّواب النسبيّ : قد يوافق النّاقد العمل كلّه و يجده صحيحا، فيشجّع و يبارك، و لكن لا تتّصف حالته بالدّيمومة، فصواب اليوم قد يكون خطأ الغد، حتّى و لو بنى صاحب العمل عمله على خوالد من القرآن الكريم مثلا؛ فهو حتماً سيضيف من عنده ما يشرح به، و ينطبق المبدأ المذكور سالفاً على هذا الأخير، لأنّ الخوالد مأخوذة من كلام الله العالِم بكلّ صغيرة و كبيرة، فهي تملك الصّواب المطلق، و لكن قد تكون طريقة تناولها نسبيّة، و لله المثل الأعلى.

نفسيّة النّاقد :

من الضّروريّ بما كان أن نفهم نفسيّة النّاقد : انفعالاته؛ سلوكه؛ أي الشّخصيّة النّقديّة، فهذا الذي يسمّى ناقدا ما هو إلاّ بشر تحكمه مجموعة من الظّروف، له شخصيّة يحدّدها هو؛ كما تحدّدها عوامل خارجيّة خارجة عن إرادته.

لا تتفاجأ حين ترى ناقداً يتفحّص العمل بدقة شديدة، إنّه مقبل على إصدار حكم، و على هذا الأساس فهو يحلّ محلّ **القاضي**، الذي لا يترك شاردة و لا واردة إلاّ و نظر إليها، فلاحظ و تمعّن.

النّاقد شخص غيور على الدّعوة الفنيّة، لا يقبل مطلقا تجاوز الخطوط الحمراء للفكر الإنشاديّ الحديث، حريص على أن يبيّن الحق لمن أشكل عليه الفهم، و وجد نفسه في الضّباب لا يعرف إلى أين يتّجه، أو المبنيّة أفكاره على قصور رؤية و ضعف إدراك، و في نفس الوقت حكيم يعرف كيفيّة التّصحيح، دون أن يثير زوابع الفتن، إيجابيّ ذا نظرة تصحيحيّة، يقظ منتبه فطن، مدرك لحقيقة دوره، و ما يُنتظر منه.

و لكن إذا كان النّاقد شجاعا دون التّهوّر، حكيما دون الجبن، إلى غير ذلك من الخلال التي يجب أن يتميّز بها؛ فكيف يتسنّى له السّيطرة على كلّ هذه الصّفات، بإعطائها القوّة الدّافعة لها في المكان المناسب، و الزّمن الملائم ؟.

لا يمكن للنّاقد أن ينجح في هذا إلاّ إذا حكّم عقله، لا نريد أن نرى ناقدا يملا المكان سبّا و شتما على قضيّة بسيطة، يمكن حلّها بطرق حكيمة، لا نريد أن تسوء سمعة ناقد على يديه، يجلب الشرّ لنفسه بتهوّره و ثرثرته في ميادين لا يفقهها، لا نريد لناقد أن يتفنّن في تدبير مقالب و مؤامرات تبدأ رويدا رويدا حتّى تصل إلى حدود الإثم و العدوان.

إنّ النّفس البشريّة بطبيعتها، يصعب التّحكّم فيها، لما تنطوي عليه من أضداد و نقائض، و إن كان النّاقد؛ هذا الذي نضعه في مرتبة القاضي لا يتحكّم في نفسه؛ و لا يزن الأمور و القضايا بميزان العقل و الشّرع؛ فلا يمكن له أن يتمتّع بمصداقيّة وسط الإنشاديّين.

أدوات النّاقد :

يستعمل النّاقد عدّة أدوات ليخرج بنقد مناسب ما أمكن، فهو يمرّ عبر سلسلة من الخطوات، تختلف كلّ حلقة فيها عن الأخرى.

1 - الملاحظة : إنّ الملاحظة هي أوّل أداة يستعملها النّاقد بغية التّعرّف على أدقّ تفاصيل العمل المقدّم، و قد نكون مبالغين قليلا إذا منحناها نسبة 50 %، إنّها التّشخيص الأوّلي الذي يقوم به الطّبيب، و التّشخيص نصف العلاج.

لا تكون الملاحظة بالعين فقط كما يرتبط هذا المفهوم بما يتعلّق به عند العامّة، فهي بكلّ حاسّة تخدمها تتجسّد، فالنّاقد قد يستعمل أذنه لملاحظة ألبوم، مثلما يستعمل عينيه لملاحظة غلافه و ومضات إشهاريّة عنه، نستعمل هنا قاعدة " استخدم ما يستخدمه الجمهور " للوقوف على كلّ جوانب النّقص، فهي الهدف الأوّل عند البعض، كونها تمثّل نقطة ضعف يجب إزالتها بكلّ ما يتوفّر من وسائل.

يتجلى مفهوم الملاحظة في العبارة الآتية : " إعمال كلّ الحواس الممكنة بتركيز مناسب نحو عمل مقدّم، بهدف فحصه فحصاً مجهريّا يكشف كلّ ما يتعلّق به و ما يلتحق ".

2 - الاستقراء : تحمل الأشياء التي يلاحظها النّاقد عدّة دلالات يجب عليه معرفتها، و هذا ما قصدناه بمصطلح " الاستقراء "، أي الوقوف على المعاني التي تحملها الأشياء بثرائها و تنوّعها، فأحيانا تغيب بعض الدّلالات عن الجمهور حين صدور العمل، و بعد مدّة تظهر للأنظار، و تصير حديث الصّغير و الكبير، بغضّ النّظر عن قيمتها سلبيّة كانت أم إيجابيّة، و خاصّة إذا شكّلت خطراً على الإنشاد بأيّة صورة من الصّور.

إنّ المسؤوليّة المنوطة بالنّاقد تتجسّد في الإلمام بكلّ القراءات الممكنة حتّى يقيّم فيقوّم.

3 ***- التّحليل :*** يُقصد بالتّحليل تفكيك ما تعقد إلى أجزاء بسيطة تربط بينها علاقة من نوع خاص، يسهل فهمها إذا تعسّر، و لكن أحيانا يولّد التّحليل مفهوماً مناقضاً لمفهوم العناصر إذا كانت مركّبة، و في هذه الحالة يجب على النّاقد أن يلمّ بكلي المفهومين، أو يستغني عن التّحليل إذا رأى في ذلك فائدة.

خذ على سبيل المثال أنشودة معيّنة، إنّ ما تقدّمه هذه الأنشودة كما هي يختلف عمّا تقدّمه عناصرها المجزّئة، كلمة و لحنا و توزيعا، و هو بالضّبط ما يجب أن يدركه النّاقد، فتفاعل الكلمة مع اللّحن مع التّوزيع مع صوت المنشد ... ؛ يؤدّي إلى إيجاد عناصر جديدة تختفي بمجرّد فصل أجزائها، و الفكرة شبيهة باتّحاد ذرّات عناصر معيّنة من أجل الحصول على عنصر آخر ما كان لينتج لولا حدوث هذا التّفاعل و الإندماج.

4 - الاستنتاج : الانتقال من مسلّمة أو أكثر إلى أخرى تترتّب عنها، و المسلّمات هنا هي مسلّمات التّفكير النّقدي، إضافة إلى مسلّمات أخرى تدخل في الصّناعة الإنشاديّة في حدّ ذاتها.

5 - الاستنباط : الانتقال من معطيات إلى نتيجة وفق المسلّمات.

يجد النّاقد نفسه أمام معطيات توفّرت لديه إمّا لعامّة أو نظراً لخصوصيّة دوره، و هناك أشياء في هذا العالم هي من المسلّمات التي لا تقبل النّقاش، و إن قبلته لا تقبل الرّفض، فليس كلّ نقاش مآله إلغاء محوره.

6 - المقارنة : إحداث موازنة بين شيئين يشتركان في صورة عامّة واحدة، و يختلفان في صور أخرى، و تحمل إمّا مقاربة أو مباعدة.

تعتبر أداة المقارنة أداة ذات استعمال خاص، نظراً لضرورة وجود عوامل تسمح بمقارنة شيئين، فإنّه من غير السّليم أن يقارن النّاقد بين النّشيد المصوّر و الكتاب.

يجب أن يشترك العملين الخاضعين للمقارنة في الصّورة العامّة، كـأن يكونا نشيدين أو كتابين، أو ألبوميـن ... الخ، و كلّما ازدادت درجة الاشتراك بينهما؛ كان ذلك أحسن و أنفع.

7 - الحدس : هو إدراك الشيء دفعة واحدة، أي خطوره على البال كتلة واحدة، أو على دفعات.

الحدس شيء من شيئين؛ إمّا إلقاء ملك من الملائكة، أو إلقاء شيطان من الشّياطين، فالأوّل إلهام خير من الله، كأن يهديك لحلّ أشكل عليك، أمّا الثّاني فهو وسوسة ممّن يملك الشرّ جملة و تفصيلا.

كلّما كنت قريبا من الله ألقى الملك في خلدك، و العكس صحيح، فحين يبتعد الملك يقترب الشّيطان، فيلقي إليك وساوس تشمل أفكاراً خاطئة هدّامة.

8 - الاستنطاق : إنّه تحاور النّاقد مع أصحاب العمل المقدّم للاستفسار عن بعض ما يجهله، و خاصّة تلك الجوانب المخفيّة عن الأنظار، ذات النّطاقات الواسعة الغامضة حتّى على أصحابها، بما تبنّوه من مواقف تجاهها مبنيّة على متغيّرات عديدة.

يفيد الاستنطاق النّاقد كثيرا، فهو يختصر الوقت و الجهد الذي قد يضيّعهما في استعمال أدوات أخرى، و قد لا يهتدي إلى الحقيقة إلاّ بالاستنطاق.

و الاستنطاق نوعان : مباشر و غير مباشر، فالأوّل استفسار عن شيء بسؤال مباشر، يُرجى من ورائه الإلمام بما لم يستطع النّاقد الوصول إليه، أو يخشى إضاعة وقت ثمين عند البحث عنه.

أمّا غير المباشر فهو السّؤال الذي تحلّل إجابته للوصول إلى شيء لا يستطيع النّاقد أن يسأل عنه مباشرة.

9 - الاستفتاء : يكون الاستفتاء أداة في جماعة نقّاد، يصوّتون على قرار يتشاورون بشأنه.

1 - أن يكون بين أكثر من ناقدين يجمع بينهما اختصاص واحد، لأنّ إدلاء الرّأي من طرف ناقد ليس متخصّصا في ميدان معيّن؛ ما هو إلاّ ثرثرة و إضاعة وقت، و هو صوت جاهل يُؤخذ بعين الاعتبار تحت غطاء الاستفتاء.

2 - لا يُلجأ للاستفتاء مباشرة، بل هو الخطوة الثّانية بعد التّشاور، الذي يقدّم فيه كلّ ناقد في محلّ اختصاصه وجهة نظره، و لمّا تختلف وجهات النّظر؛ يُلجأ إلى الاستفتاء كحل نمنع به استمرار الاختلاف الذي يجب أن يصل إلى حلّ، هذا من جهة؛ من جهة أخرى؛ حفاظاً على وحدة جماعة النّقّاد.

»» *الحكم :* يتمثّل الحكم في القرار الذي يأخذه النّاقد بناء على ما تقدّم من خطوات تم استعمالها كأدوات بغية الوصول إلى حكم سليم، له من الصّحّة ما تقع به المصداقيّة.

يختلف منهج النّقد الإنشاديّ عن غيره من المناهج، فلا هو بالمنهج التّجريبيّ؛ و لا بالمنهج التّاريخيّ؛ و لا بالمنهج الوصفيّ؛ و إنّما هو منهج يستعمل التّحليل و الملاحظة و الاستقراء و التّاريخ ... ، كلّ في مكانه المناسب.

أشكال النّقد :

للنّقد ثلاثة أشكال هي : التّشجيع و الإرشاد و النّصح.

كلّ شكل من هذه الأشكال له حالة خاصّة نستقرؤها من بين السّطور، فالتّشجيع يعكس رضا النّاقد التّام عن العمل المقدّم، فهو يشجّعه و يشجّع صاحبه أو أصحابه، حتّى يرفعوا المستوى أكثر فأكثر، لأنّ العمل المقدّم الحالي يتوافق مع الزّمن الحالي، و إذا حافظوا على نفس المستوى عند زمن معيّن؛ يكون عملهم غير صحيح، حسب السّيرورة الزّمنيّة التي يجب مواكبتها دائما، و دون انقطاع.

و يكون الإرشاد عندما يكون العمل المقدّم صحيحا، لكن يرى النّاقد أشياء ترفعه أكثر، لا يراها أصحاب العمل، دون أن يكون عملهم خاطئا، فهو سليم لكن من الأفضل و الأحسن و الأرفع له أن يكون هكذا على صورة ما.

أمّا النّصح؛ فيكون عندما يتوفّر عمل خاطئ، لا يرضى عنه النّاقد، فينصح صاحبه بجملة ما يجده مناسبا للرّفعة و الرّقيّ.

النّقد الموازي :

إنّه النّقد الذي يقدّمه صاحب العمل بعد مرور مدّة من تقديمه، كأن ينقد ألبوماً سجّله قبل 05 سنوات، أو يعيد النّظر في كتاب مضى عليه وقت، و لا يسمّى " نقدا موازيا " إلاّ إذا كان من صاحب العمل، لما يراه مفيدا، و ذا مصلحة تنعكس على الجميع إيجابا.

- دوافع النّقد الموازي :

1 - تغيّر النّظرة الذّاتيّة تجاه العمل نتيجة عدّة ظروف، ممّا يرغّب في ضرورة إعادة النّظر بهدف جعله مواكباً للتطوّر الزّمنيّ و الحضاريّ و ما تماثل، طبعة جديدة، نسخة منقّحة، شيء من هذا القبيل.
2 - ارتباط العمل المنقود بعمل آخر جديد يبنى عليه، فلا يصحّ الثّاني إلاّ بعد وجود الأوّل على وجه حديث.
3 - حدوث مستجدّات تجعل العمل القديم إرثاً باليا، يجب إعادة النّظر فيه مجدّدا إذا أريد له أن يبقى من المراجع الهامّة.

- نتائج النّقد الموازي :

1 - يمهّد لطبعات متجدّدة.
2 - يوفّر أرضيّات لانطلاق أعمال جديدة.
3 - يبرهن على مدى التّواضع و البحث عن الحقيقة و لو على حساب الذّات.
4 - يرسّخ فكرة النّتائج النّسبيّة.

نقد النّقد :

هو النّقد الذي ينقد نقدا آخر، صاحبه ناقد النّاقد إن صحّت هذه العبارة، و لكن في الواقع فإنّ النّاقد لا ينقد النّاقد بعينه؛ بل ينقد نقده للأعمال الإنشاديّة.

تشبه هذه العمليّة عمليّة **استئناف الحكم**، و إن كنّا نتحاشى ذلك قدر المستطاع، فالنّاقد يركّز على العمل الإنشاديّ محطّ النّقد، أفضل بكثير من أن يبقى ينتظر نقداً ينقده، و إن لم يكن هناك نقد لا ينقد شيئا، فالأولى بالنّقد العمل المقدّم، و ما نقد النّقد إلاّ حالات خاصّة لا ترقى إلى الأصل أبدا.

- حالات نقد النّقد :

1 - وجود خلل واضح في النّقد الأوّل كأخطاء في المصطلحات و المفاهيم، أو رؤية ضيّقة رآها النّاقد.
2 - تعزيز أحكام النّقد الأوّل، فتزيد مصداقيّتها من حيث أثرها على العمل.
3 - نقد العمل المقدّم مع الأخذ بعين الاعتبار النّقود الأخرى.

- شروط نقد النّاقد :

يجب على ناقد النّقد أن يكون متمتّعا بشروط معيّنة تمكّنه من عمله :

1 - رفعة مستواه عن مستوى النّاقد المعنيّ نقده بالنّقد.
2 - امتلاك رؤية تختلف عن رؤية النّاقد الأوّل.

- من إيجابيّات نقد النّقد :

1 - إيجاد آليّة مراقبة يمكن استغلالها فكريّا، فعندما ينقد النّاقد عملاً إنشاديّا؛ يضع في حسبانه إمكانيّة نقد نقده من طرف ناقد آخر، و بطبيعة الحال فإنّ النّاقد الثّاني سيحـاول دحض حجـج الأوّل أو تعزيزها أو يأخذ مكانا وسطـا، و هو نشاط فكريّ سيكون له أثر على السّاحة الفنيّة العالميّة.
2 - إيجاد نوع من الاتّحاد اللا مرئي بين النّقاد، يكون فيه الحقّ هو الأساس دائما، بعيداً عن المصالح الخاصّة، و المصالح المشبوهة.

- من سلبيّات نقد النّقد :

1 - إهمال العمل محلّ النّقد، و التّركيز دائما على النّقد محلّ النّقد.
2 - توريث الأحقاد بين النّقاد، فالنّاقد يصبح في هذه الحالة يهتم بتوجيه ضربات تلو ضربات للنّاقد الآخر، مهملاً ما له أولويّة في النّقد.

الدّيناميكيّة النّقديّة :

هذه الفقرة تتحدّث عن الحركيّة التي يسير عليها النّقد، أي الكيفيّة التي تكون عليها العمليّة النّقديّة في الواقع، إضافة إلى نمطي الدّيناميكا النّقديّة.

1 - كيفيّة النّقد :

يواجه النّقاد أهمّ مشكلة في مشوارهم، إذ لا يعرفون الكيفيّة التي من المفروض التّعامل حسبها مع الأعمال المعروضة أمامهم، لذلك يأتي نقدهم بصورة خاطئة.

هذه النّقاط تساعد النّاقد على تقديم نقد فنّيّ علمي إنشاديّ مناسب :

1 - أنقد الأعمال التي تنصبّ في اختصاصك، فإن كنت لا تفقه في الإخراج؛ لا تنقد الفيديو كليب إخراجاً، و إن كنت لا تفقه في التّلحين كن شجاعا و قل " الله أعلم "، و لا تعتبر نفسك ناقداً لكلّ شيء، لأنّ **هذا سيجعلك تخسر كلّ شيء.**
2 - جمّع المعلومات الخاصّة بالعمل، و لتساعدك أدواتك الخاصّة التي سبق التّطرّق إليها، فكلّما كانت المعطيات التي لديك متنوّعة و كثيرة؛ استطعت معرفة الكثير، و بالتّالي كان نقدك مبنيّا على حقائق علميّة.
3 - حلّل جيّدا المعطيات التي أمامك مستعينا بالله.
4 - إن كان في مقدورك مناقشة نقاد آخرين فافعل، فأنت بهذا تجمع 03 قوى على الأقلّ.
5 - حاول التّركيز على الجانب الإيجابيّ دون إهمال الخطوط الحمراء للفكر الإنشاديّ الحديث، و كن حكيما عندما تتطرّق إلى السّلبيّات.
6 - احترم خصائص الصّفوف الثّلاثة، و أسـرار الجماعـات، لأنّك قد تجد نفسك تخـوض فيها من شرفـة عملك، و قد تعرّض مستقبل الدّعوة الفنيّة للخطر.
7 - إذا أشكل عليك شيء ما؛ فلا تتردّد في طلب العون من فاعلين إنشاديّين آخرين مختصّين مثل المحلّل أو المؤرّخ.
8 - رتّب النّقاط التي تنقدها حسب الأولويّات، فلا تركز جهدك كلّه على نقطة صغيرة جدّا و قد تكون تافهة؛ إذا ما قورنت بنقطة أخرى أكثر أهميّة.

2 - نمطا الدّيناميكا النّقديّة :

نقصد بالدّيناميكا النّقديّة مفهوم النّسق الحركيّ الذي يسير عليه النّقد، و هو عادة ما ينقسم إلى قسمين :

- النّمط الدّيناميكي المنفصل :

يمارس النّاقد دوره أثناء اتّباعه لهذا النّمط بشكل متقطّع، فهو لا ينقد باستمرار، و إنّما في حالات متقطّعة، عندما يُعرض أمامه عمل ما؛ أو يُستدعى لمهمّة نقديّة، و غالباً ما يكون النّاقد خلال هذا النّمط غير متفرّغ للدّعوة الفنيّة، كأن يشتغل بعمل آخر يعيش منه، و يمارس النّقد من باب ثانٍ، بشكل احترافيّ، لأنّه ينتهج نهج العلم كمسار معتمد من أوّل خطوة.

إنّ تطوّر المجالات المعرفيّة وفق حركة تسارعيّة كبيرة؛ يجعل من ناقد كهذا يقف عاجزاً في أحايين كثيرة، كون انفصاله عن الدّعوة الفنيّة بصورة متكرّرة يشكّل عائقاً له عن معرفة ما يجب أن يعرفه مقارنة بناقد يتّبع نمطا ديناميكيّا متّصلا، و يمكن تجاوز كلّ هذه العوائق إذا كان النّاقد **يتمتّع بقدرة اندماج ميدانيّة متوافقة مع المعطيات المستجدّة.**

• النّمط الدّيناميكي المتّصل :

إنّه النّقد المستمرّ الذي لا يتقاطع معه ميدان آخر ينفرد بذهن النّاقد، ممّا يجعل اهتمام هذا الأخير منصبّا على الدّعوة الفنيّة فقط، و بناء على هذه القاعدة؛ فإن تسارع المعرفة لا يمثّل له حجر عثرة، فهو متفرّغ يعلم أن تعلّمه الدّائم المتواصل مفتاح الاحترافيّة.

مسلّمات النّـاقـد :

على النّاقد الإنشادي التّسليم بعدّة نقاط لا تقبل الرّفض :

1 - الإنشاديّون جنود دعوة فنيّة، الله أصل قوّتهم، كلّما اقتربوا منه زادت و تجلّت في صور كثيرة، و كلّما ابتعدوا عنه نقصت و تجسّدت في صور متعدّدة.

2 - كل فكرة هي فعل أو ردّ فعل، فإذا كانت الأوّل؛ استوجبت حدوث ردّ فعل واحد أو مجموعة ردود أفعال مختلفة الصّور و القوى و الأبعاد، و إذا كان الثّاني استوجبت نفس الشّيء، و العلاقة بين الفعل و ردّ الفعل جدليّة عبر العصور و الأزمنة.

3 - ينقسم الجمهور إلى قسمين هما : الإنشاديّ و غير الإنشاديّ، فالأوّل لديه وعي يُفترض أن يتحلّى به لأنّه من جنود الدّعوة، و الثّاني يفتقر إلى الوعي اللاّزم، و لذلك يوجّه الأوّل الثّاني، و حتّى و لو حدث و إن توفّر وعي لدى غير الإنشاديّ؛ فأصحابه قلّة، و هم غالباً غير منظّمين تنقصهم الخبرة و التّجربة.

4 - أيّ عمل مقدّم فيه شبهتين؛ شبهة النّقص و شبهة الخطأ، لأنّه صادر عن الإنسان، و هذا الأخير أعماله غير كاملة، و قد تكون خاطئة بدرجات متفاوتة.

5 - إنّ النّقد الذي يقدّمه النّاقد ما هو سوى أفكار تصدر عنه، و مثلما ينقد هو؛ ينقد آخر، و على هذا الأساس لا يعدّ النّقد أداة لمصداقيّة العمل، بمعنى أنّ العمل لا تزيد مصداقيّته إذا نُقد أو لم ينقد، بل قيمة النّقد تتجلّى في الأفكار التي يقدّمها النّاقد فقط، فإذا كانت الأفكار ثمينة؛ ارتقى الحاوي سواء كان منقوداً أو نقدا.

خاتمــة :

" المنظار في النّقد الإنشاديّ "، كتاب بسيط في موضوعه، رغم ما يحويه من عمق فكريّ، إلاّ أنّ وظيفة المنظـار لا تعدو تقريب صورة بعيدة لأجل رؤيتها عن قرب، و الوضوح الذي من المفروض أن يوحي به قصر المسافة الفاصلة بين العين و الشّيء؛ ما هو سوى مفهوم نسبيّ، يتغيّر من شخص لآخر، فواحد يجده نسبيّا؛ و آخر يجده سلبيّا، إذا كنت من مناصري الشّخص الأوّل؛ فاعلم أنّ ما عملناه واجب علينا تجاه أمثالك، و إذا كنت ميّالا للنّاحية الثّانية فاستعمل المجهر و اترك المنظار.

للأسف الشّديد ليس لدينا نقد إنشاديّ بالمعنى الصّحيح للكلمة، رغم ما ينتج في العالم من أعمال، اللّهمّ إلا الأفراد الذين يُعدّون على الأصابع، بأفكار غير متكاملة ... و يد الله مع الجماعة.

أ كنت ناقدا أو غير ذلك؛ هذا الكتـاب موجّه إليك إمّا اختصاصاً أو ثقافـة، فتعرّف و اكتشـف ... أو تعرّف و تثقف.

نُظّمت عديد من المهرجانات المهتمّة بترقية النّشيد و الأنشودة، و كثير هي المسابقات التي تبارت فيها فرق مشهود لها بالخبرة و التّجربة، و لو قلنا أنّ مصداقيّة لجان التّحكيم لعبت دوراً بارزاً في فعالية هذه المسابقات؛ لما كنّا جانبنا السّبيل القويم، و باعتبار أنّ لجنة التّحكيم مجموعة نقّاد التقّوا حول عمل مطروح أمامهم؛ فهم مساهمون بشكل أو بآخر في عمليّة الدّيناميكا النّقديّة، كي لا يفهم المطّلع على هذا الكتاب أنّ قِطع الحراك النّقدي أفراد نقّاد فحسب، بل إنّ قيمة الفعل النّقديّ النّاتج عن لجنة تحكيم لتعدو أعلى درجة من ناقد واحد، مع وضـع ميـزات كلّ طـرف موضـع ملاحظـة و اعتبار.

و إنّنا لنؤكّد في الخاتمة أنّ النّاقد كفرد مستقلّ ليس كناقد في جماعة ما، و من الغفلة أن تعتبر ما ذكرناه من تفصيلات؛ تقوم بدورها بطريقة انفصالية، فالوجود معقّد، تذكّر دائما هذه العبارة، النّقاط المأخوذة فرادى من أجل أن يفهمها العقل مجزّأة كي يحصل الهضم الفكريّ لها، و لكنّها في الواقع في علاقات تأثيريّة متبادلة جدليّة.

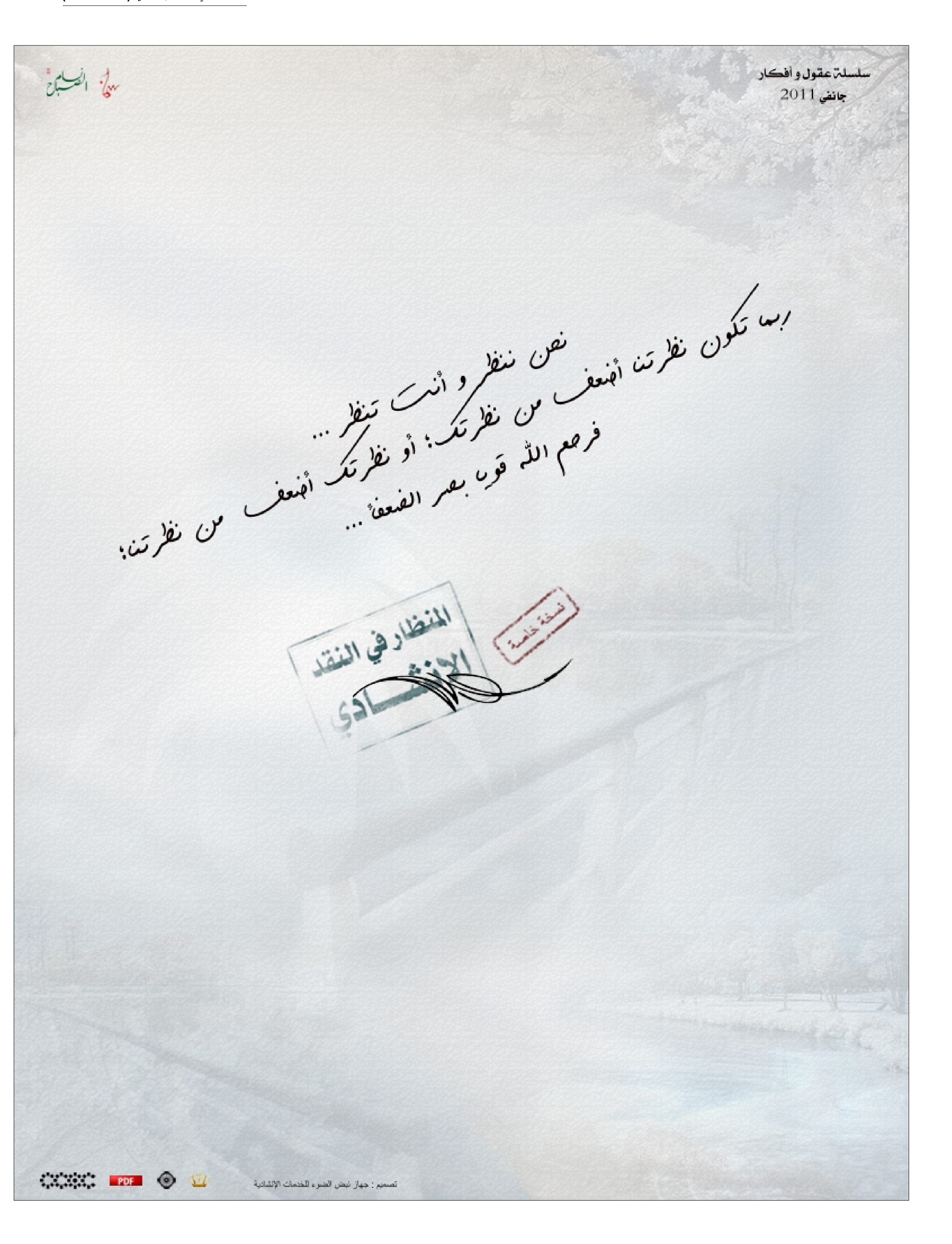
هنا نعود لنقطة ذُكرت في السّابق، ألا و هي الأسرار الجديدة المتجدّدة التي تحدث كنتيجة لتفاعل هذا الوجود الذي نحن فيه.

إنّه العلم الذي لا ساحل له، فاربأ بنفسك أن تكون من الغافلين.

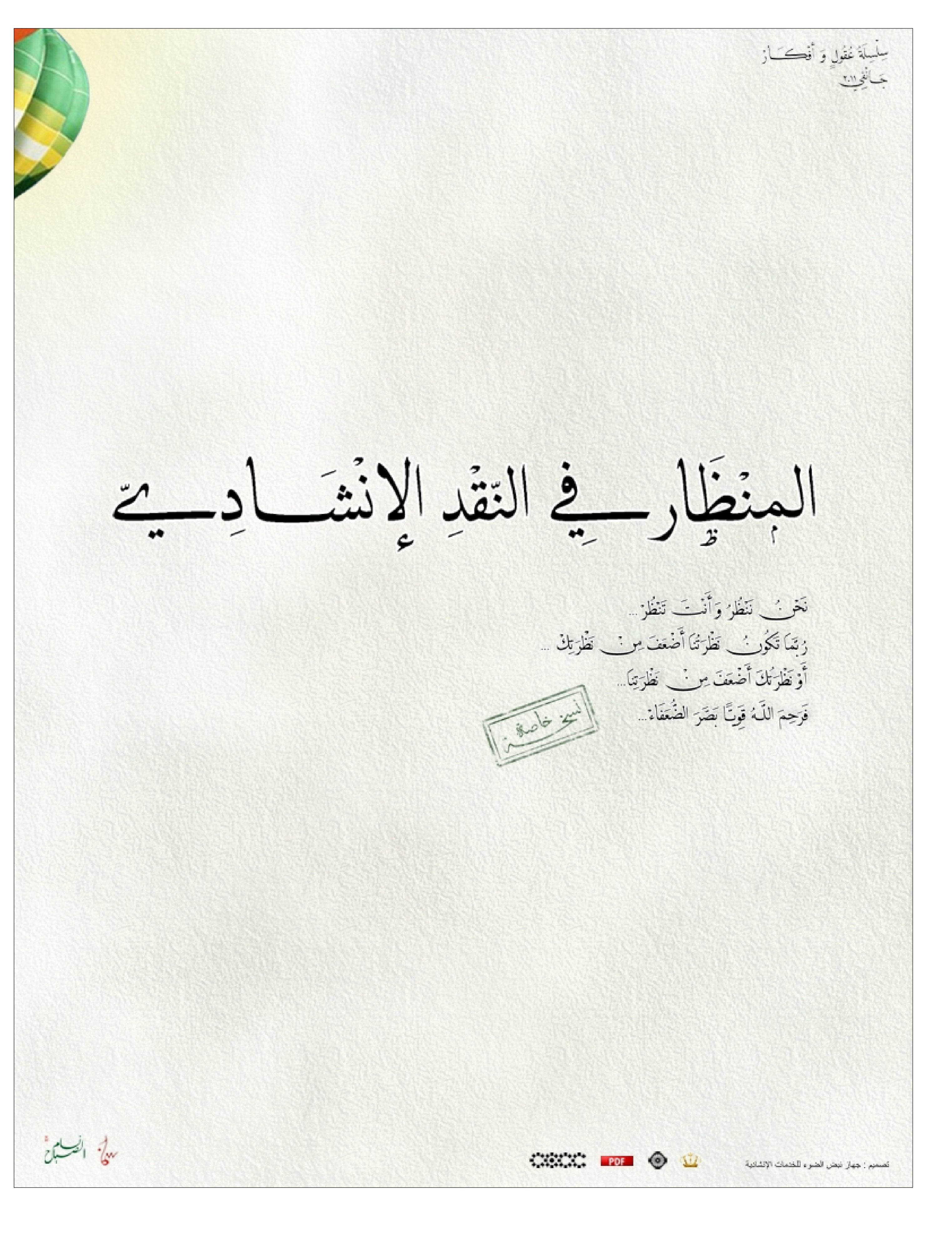
من الممكن جدا أن تكون المعلومات الواردة هنا مطلوبة بدرجة كبيرة، و أولويّة ما قبلها أولويّة عند البعض، ما فعلناه لا يعدو أن يكون لفت انتباه لميدان النّقد، و لكن وجدنا صعوبة في ذكر هذا الفرد المختص بدوره هكذا دون أن نمهّد له بيئته التي من المفروض أن تكون ضمن تاريخه.

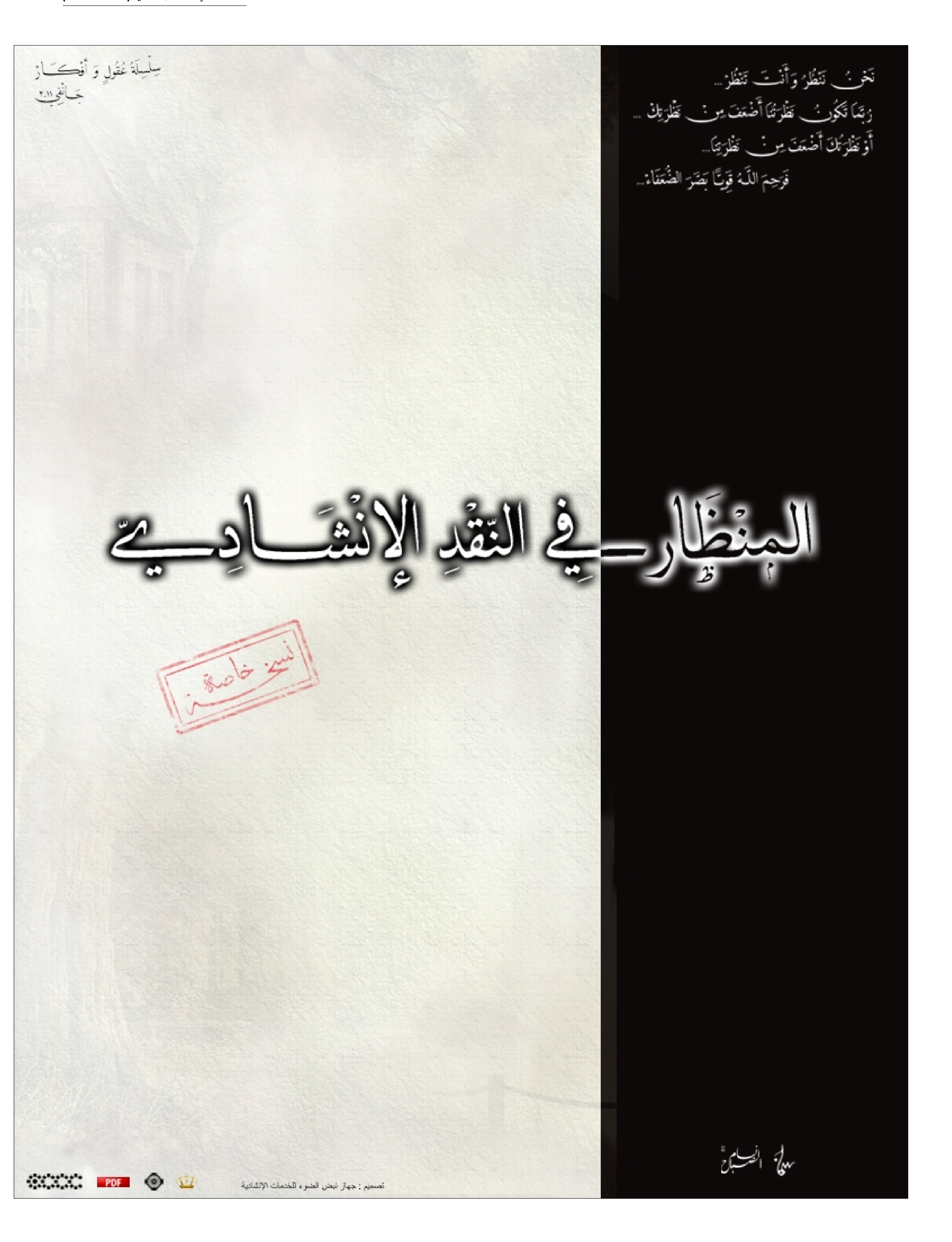
جهاز أنسام الصباح للتربية الفنية
الإقليد جانفي 2011


سلسلة عقول و أفكار
جانفي 2011
نسخة خاصة
المنظار في النقد الانشادي
نحن ننظر و أنت تنظر ...
ربما تكون نظرتنا أضعف من نظرتك؛ أو نظرتك أضعف من نظرتنا؛
فرحم الله قوي بصر الضعفاء ...
PDF



سلسلة عقول و أفكار
جانفي 2011
ربما تكون نظرتنا أضعف من نظرتك؛ أو نظرتك أضعف من نظرتنا؛
نحن ننظر و أنت تنظر ...
فرحم الله قوي بصر الضعفاء ...
المنظار في النقد الإنشادي
نسخة خاصة
PDF
تصميم : جهاز نبض الضوء للختمات الإنشادية


سلسلة عقول و أفكار
جانفي ٢٠١١
المِنْظَارِ في النّقْدِ الإنْشَادِيّ
نَحْنُ نَنظُرُ وَأَنْتَ تَنظُرُ ...
رُبَّمَا تَكُونُ نَظْرَتُنَا أَضْعَفَ مِنْ نَظْرَتِكَ ...
أَوْ نَظْرَتُكَ أَضْعَفَ مِنْ نَظْرَتِنَا...
فَرَحِمَ اللَّهُ قَوِيّاً بَصَّرَ الضُّعَفَاءَ...
نسخة خاصة
PDF
تصميم : جهاز نبض الضوء للخدمات الإنشادية



ANSEMESSABAH

من إصداراتنا



- مدخل إلى فن الإنشاد (نسخة منقحة) -

● هو مدخل إلى فن عريق له أسسه و مميزاته و خصائصه، و لسنا مسؤولين عن الكيفية التي يراها به القرّاء، فما بين أياديكم عبارة عن جسر تنتقلون عبره إلى معارف جديدة، أي أننا نضعكم في ميدان معرفي غريب عنكم بعض الشيء، من أجل أن تكونوا إنشاديين بحق، و لتثقيفكم، فالإنشاد ما أضحى كما كان، لقد تغير كل شيء يا سيدي، زال كل ما كان عالقا من أوهام الماضي، ذابت الأفكار الرثة البالية، مشكلة العالم الآن هي هل تعلم أم لم تعلم ؟، ثم هل عملت بما عرفت أم لم تعمل ؟، كل ما في هذا الوجود قائم على العلم، مرتكز على العلماء الذين باستطاعتهم حفظ الوجود إلى غاية يوم القيامة.

يا سيدي لقد انتهى زمن المعجزات منذ أمد بعيد، فكيف نكلّم من كان في المهد صبيّا ؟؟؟.



- تأملات في الفلسفة الإنشادية -

● تأملات في مواضيع قد ترتبط بين بعضها البعض، تدخل كلها ضمن الفكر الإنشادي الحديث، عبارات و مقولات خصت بالتحليل و المناقشة، و ما يستدعي ذلك من التطرق لمواضيع تدخل في صلب الإجابة، هي ألغاز تم تفكيك شيفرتها، أو على الأقل سعينا إلى ذلك.



- مرايا إنشادية -

● ربما تكون قد اطلعت على هذه المقالات من قبل، هي الآن في كتاب واحد بعدما نشرت من قبل عند صدورها في 10 أجزاء، حرصا على المنفعة العامة لكل إنشادي، أو حتى من الجمهور، فإن لم تنل شيئا من المسك؛ هل تضيرك رائحته الزكية ؟، لتطالع على الأقل 330 مقالة في مواضيع متشعبة لا تخرج عن المربع الإنشادي، فقد يأتي إلى ذهنك أن بعضها خارجة عن الجسم، كلا ... كلها في الإنشاد، المشكلة أن فن الإنشاد لديك مفهوم ضيق المساحة، فهلا خرجت من الزجاجة من فضلك ؟؟؟..